الرسول الأعظم ﷺ

بين

جهل المستهزئين به وهوان المنتمين له

تأليف دكتور

عبد العزيز المرشدي

أستاذ العقيدة والفلسفة

رقم الايداع

٢٠٠٦/٥٩٦٧

الترقيم الدولى

I.S.B.N 977 – 224 – 469 – 1

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل محمدًا ليكون للعالمين بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرأ . والصلاة والسلام على من قال عن نفسه (إنما أنا رحمة مهداه) . فطرق ﷺ باب هذا العالم كما تطرق النعمة باب بائس ، أو كما تطرق العافية كيان جسم معلول . فلم يكن عليه الصلاة والسلام لعَّانًا يطفح فؤاده بالسخط ولا جبارًا تنبسط يداه بالأذى ، بل كان بشرًا نبيلاً لا يجازى السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح . . . وبعد :

فإننى لم أندهش قط بما فعلته العقلية الغربية على صفحات الجرائد من رسوم مسيئة لرسول الله ﷺ . فهذا أمر يتسق تمام الاتساق مع التاريخ والنفسية والعقيدة التى يعتقدها الغربى تجاه الإسلام ونبيه .

لكن المدهش حقًا وما يدعو للاستغراب والتعجب تلك المظاهرات الصاخبة التى اندلعت فى كثير من بلاد المسلمين ، وما صاحبها من حرق وتدمير للحرث والنسل ، وانفلات أمنى ومواجهات بين المتظاهرين ورجال الشرطة ، ومناظر لا تسر إلا كل عدو والذى يغتنم مثل هذه المناظر ليتسوق بها أمام العالم ليعلن عن عودة البربرية والتوحش ، كما أعلنت ذلك بعض الإذاعات الأمريكية والأووربية .

إننا يجب علينا أن نغضب لديننا ولنبينا ، الذى يمثـل عنـدنا رمز كرامتنا وعزنا وشرفنا ، والذى يتغلغل حبه بداخلنا ، بـل إن كل ذرة من ذرَّاتنا لتفيض حبا وحنانًا تجاه هذه الشخصية العظيمة .

لكن هل يرضى رسول الله ﷺ أن نحرق مؤسساتنا بأيـدينا ، وأن ندمر بنياننا بأنفسنا .

وإنى لأتساءل لو أنه ﷺ كان موجودًا بيننا الآن فماذا سيكون موقفه ؟

إن أول سؤال سيوجهه لأمته هو ماذا تصدرون لدول الغرب ؟ وماذا تستوردون ؟ هل أنتم فى غناء عنهم أم مازلتم عالة علـيهم ؟ من يصنّع " الأنسولين " لمرضى السكر . أليس أهل الدينمارك . إذًا قبل أن تتظاهروا عليهم اصنعوا بأنفسكم الدواء الـذى تـستوردونه منهم . من يصنع الأسلحة ؟ من يصدر لكـم التكنولوجيـا ؟ مـن يصدر لكم القمح ؟ من يصنع لكم حتى الأقلام التى تكتبون بهـا ؟ ستكون الإجابة أنهم الغرب يارسول الله . فسيقول لنا :

إذًا كونوا رجالاً وصنِّعوا لأنفسكم ، واكفوا أنفسكم ، وطوِّروا أنفسكم . ولا تحتاجوا لهم ، وعاملوهم بالمثل ، والند بالند سـاعتها سوف يحترمون دينكم ، ولا يسخرون من نبيكم .

لكن ألا نقاطعهم اقتصاديًا يارسول الله ؟ سيقول لنـا : نعـم قاطعوهم اقتصاديًا حتى يعلموا أنهم أساءوا إليكم . لكـن بأسـلوب

منظم وعلمى وهادئ حتى لا تصابوا بالإحباط بعد فترة مثل ماحدث إبان غزو الأمريكان للعراق ، ومقاطعة البضائع الأمريكية ثم عدتم بعدها وكأن شيئا لم يكن .

ونحن نقول : نقاطع من يسيئون إلى ديننا ورسولنا ، لكن مع العمل على تحديث وتطوير أنفسنا ، وإيجاد البدائل للسلع الضرورية

هل سنموت بدون الجبنة الدينماركية ، والبورجر الأمريكى ، والبيتزا الإيطالى ؟ . . .

لا نريد استعداء العالم ، لكن نريد ترتيب البيت الإسلامى من أوله إلى آخره . حتى يكون تعاملنا مع العالم قائمًا على التعاون لا التبعية .

إن العالم لا يحترم إلا القوى ، ولا يكفى أن نكون أصحاب حق ، بل لابد من قوة تساند هذا الحق .

إننا نساعد على تشويه صورة ديننا الحنيف ، ونبينا العظيم . بل إننا نغتال هذا الدين بأنفسنا حين نسيئ فهمه ، ولا نحسن عرضه ، ونعجز عن الدفاع عنه .

إن واقع المسلمين صورة شائهة لدين عظيم . هذه الصورة تزهد العالمين فيه فضلاً عن أنها تغرى الآخر على السخرية منه والاستهزاء به خاصة أصحاب القلوب الحاقدة من المبشرين والمستشرقين والصهاينة .

وعامة الشعوب الغربية من الدهماء الـذين لا يبحثـون عـن حقيقة الإسلام ، وقد وصلتهم صورة مغلوطة عنه عن طريق هؤلاء الحاقدين ، وفى غفلة من المسلمين حكامًا ومحكومين .

إننا يجب أن نحسّن صورة الرسول ﷺ داخل بيتنا الإسـلامى أولاً . وهذا لا يكون إلا بفهم صحيح للإسـلام الـذى شـرفنا الله بالانتساب إليه وتطبيقه على واقعنا ، وفى شئون حياتنا لأنـه ديـن يحوى أمور الدنيا والآخرة معًا .

ولتكن تعاليم الرسول نبراسًا نهتدى بها فى دروب حياتنا . فى البيت ، والمدرسة ، والمسجد ، والشارع ، والحكم ، . . الخ .

وهذا الكتاب محاولة جادة للدفاع عن النبى ﷺ أمـام موجـة العداء السافر والسافل من بعض الحاقدين الغربيين ، وأيضا لتنبيـه الغافلين من المسلمين على ماينبغى القيام به فى تعقل ورويـة دون الانسياق إلى عاطفة هوجاء .

إن الدفاع عن الرسول لايجب أن يتحول إلى مظاهرات فقـط دون أن تتحرك قلوبنا وتستثار هممنا لإعزاز هذا الدين الذى اختاره الله لنا ، ولا نكتفى بالتعظيم الذى يكون عن تقليد موروث ومعرفـة قليلة . مكتفين من هذا التعظيم بإجلال اللسان أو بما قلَّـت مؤنتـه من عمل .

إن المسلم الذى لا يعيش الرسول فى ضـميره ، ولا تتبعـه

بصيرته فى عمله وتفكيره لا يغنى عنه أبدًا أن يحرك لسانه بـــألف صلاة فى اليوم ، ولا مليون مظاهرة مع تركه أوامـــره ونواهيـــه وراءه ظهريا .

وإننا رغم ذلك نتساءل فى حيرة وحسرة .

أين المنظمات والاتحادات والتجمعات العربية والإسلامية مما يجرى للإسلام من الأعلام الغربى ؟

أين منظمة المؤتمر الإسلامى ، ورابطة العـــالم الإســـلامى ، ومنظمة الإيسسكو ، واتحاد الإذاعات العربية والإسلامية ، واتحـــاد الصحفين العرب . . إلى غير ذلك من المنظمات العديدة التى لـــم تقدم شيئا ملموسًا للرد على هذه الممارســـات الخاطئـــة للإعـــلام الغربى . وأيضا لتصحيح الصورة المشوهة فى الوجدان الغربى .

هل تحولت هذه المنظمات إلى هياكل رمزية لـــيس لهـــا دور فاعل ، ولا همَّ لها إلا تلبية رغبة صناع القرار ، وتقـــديم واجـــب الضيافة لهم ؟

إن الأمر ينذر بخطر داهم ، إذا لم تسارع هذه المنظمات فـــى وضع برامج وخطط فعلية للتعامل مع الأحداث فى عالم أصـــبحت الغلبة فيه للتكتلات والقوى المهيمنة .

وفى هذا الكتاب بيان بأن المظـــاهرات والاحتجاجـــات فقـــط لا تؤدى إلى شئ اللهم إلا تفريغ طاقة كان يتحتم استخدامها لأنقـــاذ

الأمة مما هى فيه .

هذا فى الوقت الذى تدل فيه هذه المظاهرات على شئ وهو أن شخصية الرسول ﷺ تمثل القيمة العليا فى حياة المسلمين ، وأن المسلمين على استعداد لأن يفدونه بأرواحهم .

فهى لا تؤدى إلى شئ وإن دلَّت على شئ .

وفى هذا الكتاب سوف نعرض لمسيرة ركب الشياطين فى السخرية من سيد المرسلين ، منذ أن صدع بأمر ربه وإلى الآن ، ثم عرض سيرة النبى وأخلاقه ، وكيف أنه لو عُرف ما سخر منه أحد ، ثم الدليل على نبوته ﷺ ، واستعراض لبعض شهادات المنصفين من علماء الغرب .

والكلام عن الحرية العرجاء ، وكيف أن الحرية يجب أن تكون بضوابط ، وأن تطبق على الجميع ، وثم الكلام عن السر وراء تشويه صورة الإسلام فى الغرب .

وأخيرًا حديث عن هوان الأمة ومع ذلك فالمستقبل للإسلام كما تشير الدلائل .

وفى الختام نتائج وتوصيات .

وأرجو بهذا الجهد المتواضع أن أكون قد أديت ولو جزءًا ضئيلا من ديون علىَّ تجاه هذه الشخصية العظيمة والنبيلة التى أنار

الله بها الوجود ، وأكمل بها الأخلاق ، وأتم بها النعمة ، ورفع الله بها ذكرنا ﷺ ما تحرك متحرك أو سكن ساكن .

الفقير إلى شفاعته ﷺ

عبد العزيز المرشدى

المنصورة

فى ٨ من ربيع الآخر عام ١٤٢٨ هـ

الموافق ٦ / ٥ / ٢٠٠٦ م

❋ ❋ ❋ ❋

مسيرة ركب الشياطين
فى السخرية من سيد المرسلين

- الإيذاء فى حياته ﷺ وصوره .
- ضريبة المهام العظام .
- النبى محمد فى أدبيات العصور الوسطى .
- صورة النبى فى الغرب فى العصور الحديثة .
- شبهة علمانية والرد عليها .
- حكم المستهزئ بالرسول ﷺ .

فى البداية يلزم القول :

بأن الطحالب العائمة لا توقف السفن الماخرة ، فمنذ أنْ صدع الرسول ﷺ بأمر ربه وأمواج الاستهزاء به لا تتوقف ولا يثنيه ذلك عن تبليغ النور الذى أحس به فى كيانه .

إن المعتوه إذا اعترض طريقك ووقع فى عرضك بلسان حاد ، سمعت من يقول لك : هذا لا يقصد العدوان عليك ، ولكنه يستجيب لنوازع الجنون فى دمه . وكذلك أولئك المشركون الجاحدون . إن فظاظتهم وإنكارهم تمشى مع دواعى الجحود فى طباعهم قبل أن تكون انتقاصًا للرجل الذى يحدثهم ، أو طعنًا فى خلقه . فقد قال الحق سبحانه :

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (١)

منذ أن جهر الرسول ﷺ بالدعوة إلى الله ، وعالن قومه بضلال ماورثوه عن آبائهم . والمشركون لا يألون جهدًا فى محاربة الإسلام ، وإيذاء الداخلين فيه والتعرض لهم بألوان النكال والإيلام . كما يعرفه كل من له إلمام بتاريخ الإسلام .

ولقد صاحبت هذه السخائم حرب من السخرية والتحقير قصد بها تخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية ، فرمى النبى ﷺ

---

(١) سورة الأنعام : آية ٣٣ .

وصحابته بتهم هازلة وشتائم سفيهة ، وتألفت جماعة للاستهزاء بالإسلام ورجاله على نحو ماتفعل الصحافة عندما تنشر عن الخصوم نكتًا لاذعة وصورًا مضحكة للحط من مكانتهم لدى الجماهير .

الإيذاء فى حياته ﷺ ودفاع الله عنه

إن محاولات التشهير والاستهزاء بشخصية العظيم محمد ﷺ ليست وليدة اليوم . وإنما كانت منذ صدع الرسول ﷺ بأمر ربه . فكان أن انقلبت الفئة الضالة عليه . فبعد أن كان قبل النبوة هو الصادق الأمين الذى ما جرَّبوا عليه كذبًا قط صار هو الساحر والشاعر والمجنون والكذاب ، والذى يفرق بين المرء وأخيه ، وبين الابن وأبيه .

وكشَّرت الفئة الكافرة عن أنيابها لرسول الله ﷺ ، وكان الحق سبحانه وتعالى قد عوَّد حبيبه على أمر هام وهو أن يامحمد لا تأبه بما يقول هؤلاء ، ولا تدافع عن نفسك ، وسر فى طريقك وسوف نتولى أمر الدفاع عنك . لأن الاستهزاء بك هو استهزاء بالذى أرسلك وإن السخرية من شخصك إنما هى سخرية بالرسالة .

قال تعالى : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ الحجر : ٩٤ ، ٩٥ .

وقال تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ البقرة : ١٣٧

وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ الطارق : ١٥ ، ١٦ .

ودور الرسول فى هذه المرحلة بالذات هو الصبر على الإيذاء والاستهزاء والسير فى طريق الدعوة إلى الله دون كلال أو ملل .

وإن السيرة النبوية لتروى لنا كيف أن الله سبحانه وتعالى كان يقوم بدور الدفاع عن رسوله والتثبيت له ولأتباعه :

١ – حين وقف النبى ﷺ ، ونادى يامعشر بنى فلان ، ويابنى فلان حتى اجتمعوا حوله فقال : (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً وراء هذا الوادى يريد أن يغير عليكم أكنتم مصدقى . فقالوا : ماجربنا عليك كذبًا قط . فقال : إنى رسول الله إليكم بين يدى عذاب شديد . فقال أبو لهب : تباً لك ألهذا جمعتنا) . فأنزل الله عز وجل دفاعًا عن نبيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾ ﴾ المسد : ١ – ٥ .

٢ – حين سخر الأخنس بن شريق من رسول الله واصفًا إياه بالجنون . كان الدفاع من الله مباشرة بذكر حقائق هامة :

أ – أولاً نفى عنه ﷺ الجنون بعد أن أقسم سبحانه بوسيلة من وسائل العلم وهى القلم فقال : ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ

بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝ ﴾ القلم : ١ – ٣

ب – ذكر الله عز وجل قيمة النبى الأخلاقية ، وأنه ليس صاحب خلق فحسب ، وإنما هو فوق الأخلاق ذاتها يوجهها هو. فكأنه صار أصلاً وهى تبع يوجهها حيث يشاء . كما يوجه الراكب دابته . قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ القلم : ٤ .

ج – إذا كان من عادة الله أن الحسنة بعشر أمثالها وقد يزيد ، والسيئة بمثلها وقد يعفو فإن الله قد خرق هذا القانون من أجل رسوله ، فكانت السيئة بعشر أمثالها . فابن أخلف وصف الرسول بصفة واحدة ليست فيه وقال (مجنون) فإن الله ذكر فى مجال الدفاع عن نبيه عشر خصال فى ابن خلف : قال سبحانه بعد ذكر أنه منافق ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝ ﴾ القلم : ١٠ – ١٣ .

د – إذا كان الله عز وجل ستِّير يحب كل ستِّير . فإن من يسخر من محمد ﷺ فإن الله يفضحه ولو فى قعر بيته حيث قال فى شأن شاتم النبى : ﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝ ﴾ أى ولد زنا .

٣ – وحين وصف بعض الكفار رسول الله وما أتى به بالكهانة والشعر ، وأن كل شاعر – عند العرب – كان له شيطان يوسوس له . نفى الله عز وجل هذه التهمة وتلك الفرية بعد أن ذكر

مقالتهم فقال سبحانه : ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الصافات : ٣٦ ، ٣٧.

وقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ الطور : ٣٠ ، ٣١ .

ثم رد الله هذه الفرية فقال : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ يس : ٦٩ .

وقال : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الحاقة : ٤١ ، ٤٢ .

وقد روى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن النضر بن الحارث بن كلده وكان ممن يؤذى رسول الله وينصب له العداء قال : يامعشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر مابتليتم بمثله . لقد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر . لا والله ماهو بساحر ولا بكاهن ولا بشاعر . قد رأينا هؤلاء وسمعنا كلامهم فانظروا فى شأنكم .

وقد عرض القرآن مقالة أمية وأمثاله فى وصفهم لرسول الله بالجنون وفندها فى أكثر من موضع وبأساليب مختلفة فقال سبحانه :﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ الحجر : ٦

وقال : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ ﴾ الدخان : ١٤ .

وقال : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ المؤمنون : ٢٥ .

وهى فرية ينقضها التاريخ وتبطلها السيرة العطرة وإلا كيف يحتكمون إليه فى أعوص الأمور ، وكان يزجى إليهم النصح والرأى الرشيد ، ثم من الذى فضَّ الخلاف حين تنازعت القبائل فى وضع الحجر الأسود بعد إعادة بناء الكعبة ، من الذى كانت توضع عنده الأمانات . ولهذا رد الله عن حبيبه بالقول : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ التكوير : ٢٢ .

ثم قال الحق مشيرًا إلى أن الأمر محتاج إلى تفكير أيكون صاحب الخلق والشمائل مجنون ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ الأعراف : ١٨٤ .

وقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ المؤمنون : ٧٠ .

٤ – لم تتوقف موجة الاستهزاء حتى بعد أن هاجر ﷺ إلى المدينة المنورة ، وكان دولة الإسلام قائمة . ولكن قد تختلف ألوان المعاندين وقد تختلف أزمانهم ، وقد تختلف ألسنتهم ولغاتهم ولكن مايجمعهم هو شئ واحد هو عداوة النبى ﷺ ودينه .

وإن ترك الرسول كفار قريش فى مكة فإنه واجه أشد الناس عداوة له فى المدينة . حيث وجد اليهود المنافقين .

إلا أن السماء كانت لهم بالمرصاد كما كانت للكافرين فى مكة حيث كان الحق سبحانه يحبط هجومهم على الرسول أولاً بأول .

ولهذا فإن المنافقين كانوا فى توجس من رد السماء عليهم حيث كان الحق يفضح دخائلهم ويخرج ماكانوا يحذرون وقت استهزائهم برسول الله فى مجالسهم الخاصة . فقد قال الله ردًا عليهم : ﴿ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ التوبة : ٦٤ .

وقد روى أن رجلاً من المنافقين قال فى غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء – يقصد النبى وأصحابه – ارغب بطونًا ولا أكذب السنا ، ولا أجبن عند اللقاء . فقال عوف بن مالك : كذبت ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله فذهب عوف إلى رسول الله وقد ارتحل وركب ناقته . فأخبره الرسول بأن جبريل قد أتى إليه بخبر هؤلاء . فأتى هذا المنافق وتعلق بنسعة ناقة النبى ، وإن الحجارة لتنكب رجليه وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب فما يلتفت إليه النبى . غير أنه يقول : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ . التوبة : ٦٥ ، ٦٦ .

صور الإيذاء ووسائله

فى حياته ﷺ قد وجد أنواعًا شتى من الإيذاء والإهانة والشتم والسب منها :

📖 **الإيذاء البدنى** : ففى العهد المكى كان النبى ﷺ قد وجد من قومه إيذاءً بدنيًا الأمر الذى جعله فى مصاف أولى العزم من الرسل .

** فقد خنقه أحد المشركين بردائه وهو يصلى حتى جاء أبو بكر فدفع الرجل وقال : (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله) .

** وقد وضع أحدهم على ظهره ﷺ سلا جذور (أمعاء ذبيحة) فما تحرك فى سجوده حتى أتت ابنته فاطمة فطرحت عنه القاذورات .

** ويوضع عليه التراب وهو يصلى فى الكعبة . وجاءت فاطمة فأزالت التراب وهى تبكى . والرسول يقول : لا تبكى يافاطمة فإن الله مانع أباك .

** ويذهب إلى الطائف علّه يجد متنفسًا لدعوته لكنه يجد خلاف ماتوقع . فأغرى أهل الطائف سفاءهم وأطفالهم فآذوه حتى أدميت قدمه الشريفة .

** ويحاولون قتله عن طريق رصد بعض شباب مكة الذين ترصدوا له حول داره ليضربوه ضربة رجل واحد لكن الله نجاه .

وفى العهد المدنى قد وجد رسول الله من الإيذاء مثل ماكان فى مكة ، لكن إيذاءه فى مكة كان جهرًا ولم يكن عن طريق المكر والتبييت . كما حدث من اليهود والمنافقين والكفار .

** فزيد بن الدثنة اليهودى يأتى فيخنق النبى قائلا له : (أعطنى حقى يامحمد فما أراكم يابنى عبد مناف إلا قوما مطل) .

** ويدس له السم فى الشاة المشوية من قبل اليهودية التى استضافته فى بيتها ولكن الله نجاه حيث أخبرته الشاة بأنها مسمومة.

** ويحاول اليهود قتله بحجر وهو فى حائط لهم يطلب منهم تحمل الدية ، لكن الله عز وجل أرسل جبريل فأخبره الخبر ، فقام مسرعا .

** ولبيد بن عاصم اليهودى يسحر النبى ﷺ ولكن الله حفظه وعافاه .

** وتكسر رباعيته ويشج وجهه الشريف فى معركة أحد وهو يقول : – وهو يمسح الدم الزكى – كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم لأنه يدعوهم إلى ربهم . فينزل جبريل عليه السلام بآية : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ . آل عمران : ١٢٨ .

❐ **أما الإيذاء النفسى** فى العهدين المكى والمدنى فحدث ولا حرج .

فما من وسيلة استطاع المشركون استعمالها فى الاستهزاء

برسول الله إلا واستعملوها والتى منها :

** **هجاؤه شعرًا** : فقد استعمل الكفار وسيلة الشعر وهى وسيلة إعلامية جيدة فى ذلك العصر . ذلك أن العرب أمة كلام وشعر .

فهجاه الشعراء كثيرًا منهم ابن خطل وأبى عفك [1] وابن زنيم ، وابن الزبعرى وكان أشعر العرب ، وكعب بن زهير ، وابن الأشرف . وقد حدث ذلك فى العهدين المكى والمدنى .

** **وهجاؤه عن طريق الغناء** . فإن بعض الجوارى كن يهجين رسول الله فى النوادى . منهن قينتان لابن خطل . فإن الغناء مع كونه حرفة الإماء والعبيد كان وسيلة بعض الكفار فى الترويج والدعاية ضد رسول الله ﷺ وكان هذا النوع غالبا فى مكة .

وكانت سارة مولاة أبى لهب تؤذيه بلسانها ، وكانت مغنية نواحه بمكة ، ويلقى إليها هجاء النبى فتتغنى به .

ومن صور الإيذاء النفسى لرسول الله : إطلاق الإشاعات على رسول الله كدعوى أنه ساحر أو كاهن أو كاذب أو شاعر ، أو مجنون

---

(١) روى الواقدى : أن رجلا يقال له أبو عفك هجا النبى فى قصيدة قال فيها :

فيسلبهم أمرهم راكب ∴ حرامًا حلالاً لشتى معًا

أو مغمور لا وجاهة عنده ، وليس من عظماء مكة أو الطائف .

هذا فى العهد المكى .

أما فى العهد المدنى فإن لليهود والمنافقين باعًا طويلاً فى ذلك حيث تعود اليهود على إيذاء الأنبياء والاستهزاء بهم ، ولم يسلم من أذاهم حتى موسى عليه السلام . الذى أنقذهم الله على يديه . حيث أطلق اليهود الشائعات على كليم الله موسى بأنه قاتل وأنه به الأدره (انتفاخ الخصية) .

ولهذا حذَّر الله أمة محمد أن تفعل مع نبيها مافعله اليهود مع موسى فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ الأحزاب : ٦٩ .

ورسول الله محمد ﷺ ليس بدعًا من الرسل فى هذا الشأن ، لهذا أطلق اليهود والمنافقون عليه الشائعات التى تمس شخصه الكريم مثل قولهم : (هو أذن) . وقولهم : (راعنا) من الرعونة فيرد الله عليهم ذلك .

ومنها الإشاعات التى تمس شرفه مثل ما أشاعوه فى حادثة الأفك فبرأ الله عائشة من فوق سبع سماوات .

ومنها بعض الشائعات التى تمس أحكامه وتشريعاته مثل لمزهم رسول الله فى أمر الصدقة كما قال : ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي

ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ التوبة : ٥٨ .

ومن سب الرسول وآذاه ابن الزبعرى . فقد كان شديد العداوة لرسول الله ﷺ بلسانه فإنه كان من أشعر الناس وكان يهاجي شعراء الإسلام مثل حسان ابن ثابت ، وكعب بن مالك . وقد أمر النبى بقتله يوم الفتح .

☜ ومن هؤلاء أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب . فإن قصته فى هجائه النبى ﷺ وفى أعراض النبى عنه لما جاء مسلمًا مشهوره ومستفيضة . حيث يذكر أن أبا سفيان بن الحارث ، وعبد الله بن أبى أمية التمسا الدخول على رسول الله فكلمته أم سلمة فيهما فقالت يارسول الله ابن عمك ، وابن عمتك وصهرك فقال لا حاجة لى بهما . أما ابن عمى فهتك عرضى ، وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ماقال . فلما خرج إليهما الخبر – ومع أبى سفيان بن الحارث ابن له فقال : والله ليأذنن لى رسول الله أو لآخذن بيد ابن هذا ، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا أو جوعًا فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما فدخلا عليه فأنشده أبو سفيان قوله فى إسلامه واعتذاره مما كان مضى منه . (١)

ولما فرق كسرى كتاب الله ﷺ واستهزأ به قتله الله بعد قليل ،

---

(١) انظر الطبرانى فى الكبير ج٨ ص ١١ .

وفرق ملكه كل ممزق ، وهذا – والله أعلم – تحقيق قوله تعالى ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ الكوثر : ٣ .

والإيذاء البدنى لرسول الله قد انقطع بانقطاع حياته ﷺ على الأرض . ولكن الإيذاء المعنوى من تكذيب وتشويه لصورته هو السلاح لباقى مع الأعداء إلى يومنا هذا .

فالهدف والغاية واحد منذ عصر النبوة وحتى يومنا هذا ، وهو محاولة تشويه صورته والنيل من قدره ، وصرف الناس عن دينه وشريعته ، واحتقار اتباعه والمؤمنين به ، وإن اختلفت الأساليب والوسائل والصور . فلئن كان الشعر وسيلة لهجائه فإن الرواية الأدبية حلت محلها من قبل أعدائه .

ولئن كان الغناء وسيلة للاستهزاء به فقد صارت الصحف والمجلات طريقة أخرى .

وإطلاق الشائعات على شخص النبى والسخرية منه دخلت مجال الأعلام الحديث أيضا .

ومما يؤسف له أن التكنولوجيا الحديثة والتقنيات العالية ، والتقدم العلمى بدل أن يستخدمها الإنسان وسيلة للحوار والتفاهم مع الآخر للوصول إلى قدر من المعايشة السلمية صار الآن فى الغالب الأعم وسيلة لزرع الكراهية والبغضاء بين الأمم والشعوب .

فمن يتابع وسائل الأعلام وخاصة الأنترنت يجد ما يهوله من عداء سافل وسافر تجاه الرسول محمد ﷺ .

☜ وكعب بن الأشرف كان عربيًا من بنى طيئ ، وكانت أمه من بنى النضير ، وكان قد وادع النبى ﷺ مع من وادعه من يهود المدينة . ولكن حين انتصر الرسول فى بدر حزن حزنًا شديدًا ، وانطلق إلى مكة وراح ينظم المراثى فى قتلى قريش ، ويحرض قريشًا على الأخذ بالثأر ، وأعلن فى مكة أن دين المشركين أهدى من دين المسلمين .

ثم عاد إلى المدينة وأخذ ينظم الشعر فى هجاء الرسول ويشهر بنساء المسلمين حتى ضاق به النبى ذرعًا فقال : من لى بكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله . فتصدى له محمد بن مسلمة ، وخرج فى نفر من الصحابة وقتلوا كعب بن الأشرف .

☜ وابن خطل الذى ارتد بعد إسلامه وكانت عنده جاريتان تغنيان الشعر الذى ينظمه هجاءًا فى الرسول ، وتحولت دار ابن خطل إلى ملهى يجتمع فيه الكفار ليستمعوا إلى غناء الجاريتين .

فلما فتح الله على رسوله ودخل مكة لاذا بن خطل والجاريتان بالبيت الحرام ، وكان قد صدر أمر من رسول الله أن اقتلوا ابن خطل ولو كان متعلقا بأستار الكعبة . لأن ابن خطل كان يرضى المشركين فى مكة بسب رسول الله ﷺ ، وكان هجومه بالغ الخسة

والدناءة ، بل هوى إلى الدرك الأسفل من الوقاحة والصغار . ولكن لابد من صدور أمر بإعدامه لأنه قد تعدى حتى شرف المخاصمة .

☜ وممن هزأ وسخر بالرسول وغاظه انتصار الرسول فى بدر ، رجل يسمى ابو عفك ، وكان قد بلغ عمره مائة وعشرون ، وكان يحرض الناس على عدم الدخول فى الإسلام ، ثم أفرغ حقده وغيظه فى قصيدة طويلة هجا فيها النبى ﷺ هجاءًا مقذعًا . وكانت نهايته مثل كعب بن الأشرف .

مما تقدم نعلم أن رسول الله ﷺ قد واجه فى حياته كثيرًا من المصاعب ومنها الشتائم والسباب والاستهزاء . وما كان ﷺ يدافع عن نفسه قط ، وذلك لأن مهمته أكبر من أن يقف عند شتم شأنه فى ذلك شأن سائر الرسل والأنبياء ، ولهذا قال الله له (مايقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك ، إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) .

وقد تولى الحق سبحانه الدفاع عن رسوله ، ثم بعد ذلك كان دور الصحابة الكرام .

فكم رأينا عمر بن الخطاب يحاول النيل ممن استهزأ برسول الله ﷺ أو حاول إيذاءه ، وخالد بن الوليد كم مرة يجرد سيفه لمجرد أن أعرابيا قال له (اعدل يامحمد ، فوالله ما أراك عدلت) .

والأعمى الذى قتل أم ولده لأنها وقعت فى رسول الله وشتمته

فنهاها الرجل أكثر من مرة فلم ترجع فقتلها بمعول كان بيده .

نخلص من ذلك : أن كل من شنأه وأبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره .

وإذا كان (لحوم العلماء مسمومة) فكيف بلحوم الأنبياء وعلى رأسهم أشرف الخلق محمد .

وإذا كان الحق سبحانه يقول فى حديثه القدسى (من عاد لى وليًا فقد آذنته بالحرب) . [١]

فكيف بمن عادى نبيًا ، ثم كيف بمن عادى سيد الأنبياء وأستاذ الأولياء والأتقياء .

* * *

---

(١) صحيح البخارى (٦٥٠٢) .

ضريبة المهام العظام

وكان من وسائل الدفاع والحفظ الذى تكفل المولى به لرسوله ﷺ أن ذكَّره بأنه ليس بدعًا من الأنبياء والرسل ، وأنهم لاقوا كثيرًا من العنت والتكذيب فصبروا على ذلك وعليك أيها النبى وأنت إمامهم فى الرسالة أن تكون كذلك فى الصبر والتحمل قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنعام : ٣٤ ، ٣٥ .

وقال مبينا عاقبة الذين استهزأوا برسل الله وأن الله كان لهم بالمرصاد : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الأنبياء : ٤١ .

وأنَّ من سنن الله مع أنبيائه أنه سبحانه يملى لهم ولا يهملهم ويستدرجهم من حيث لا يعلمون . وسنته باقية إلى يوم القيامة ، ولا مبدل لكلمات الله فى ذلك كما قال : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الرعد : ٣٢ .

فما من أمة أرسل إليها رسول إلا استهزأوا به ، وسخروا منه

قال تعالى : ﴿ يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ يس : ٣٠ .

فأمة نوح قد سخرت منه وهزأت به لما رأوه يصنع الفلك حيث لا ماء ولا بحر . ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ هود : ٣٨ .

هكذا كان الحال مع رسول الله فما يقال له إلا ماقيل للرسل من قبله ، فقد سخرت منه قريش واستهزأوا به : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ الزخرف : ٣١ .

وقال تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ الصافات : ١٢ . وقال : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ الصافات : ١٤ ، ١٥ .

وجزاء المستهزئ والساخر برسل الله من لدن آدم إلى خاتمهم محمد ﷺ .

أولاً : استهزاء الله بهم قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ البقرة : ١٥ .

ثانيًا : افتضاح أمرهم أمام الملأ : كما قال تعالى :

﴿ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ التوبة : ٦٤ .

ثالثًا : العذاب والهلاك فى الدنيا قبل الآخرة : قال تعالى : ﴿ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ هود : ٣٨ ، ٣٩ .

وقال : ﴿ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الأنبياء : ٤١ .

رابعًا : العذاب المقيم والمهين فى الآخرة . قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ الكهف : ١٠٦ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ الجاثية : ٩ .

ولهذا فإنا على يقين من انتقام الله ممن يسخر ويهزأ برسل الله جميعا ، وعلى رأسهم أشرف الخلق محمد ﷺ إن عاجلاً أو أجلاً لأن الله لا يخلف وحده ولا مبدل لكلماته سبحانه .

وسنة الله فى الانتصار لنبيه والانتقام ممن سبه وهزأ منه معلومة

فقد روى البخارى عن أنس قال : كان رجل نصرانى فأسلم وقرأ البقرة و آل عمران ، وكان يكتب للنبى ﷺ . فعاد نصرانيا فكان يقول : لا يدرى محمد إلا ماكتبت له . فأماته الله ، فدفنوه

فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا : هذا فعـل محمـد وأصـحابه . نبشوا عن صاحبنا فألقوه محفورا فى الأرض ماستطاعوا . فأصبح قد لفظته فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه .

وقد ذكر ابن تيمية أن أعدادًا كثيرة من عدول المسلمين من أهل الفقه أخبروه أنهم جرَّبوا مرارًا فى حصار الحصون والمدائن التى بالسواحل الشامية . أنه لما حصر المسلمون فيها بنى الأصفر (الروم) قالوا كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر ، وهو ممتنع علينا حتى نيأس . إذ تعرض أهله لسب رسول الله والوقيعة فى عرضه فتيسر فتحه لنا ولم يتأخر إلا يومًا أو يومين ثم يفتح المكان عنوة ، ويكون فيهم ملحمة عظيمة . قالوا حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذ سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظًا عليهم بما قالوه فيه .

❋ ❋ ❋

النبى محمد ﷺ

فى الأدبيات الأوربية فى العصور الوسطى

يذكر أحد كتّاب الغرب أن موقف المسيحيين فى القرون الوسطى من الإسلام قد حددته محطتان رئيستان :

أولاهما : ضرورة التعلم منه كونه الأقوى والأعلم من جهة .

ثانيهما : التصارع معه كعقيدة غريبة ومعادية من جهة أخرى .

فإذا كان (دانتى) فى روايته الكوميديا الإلهية قد أفرد لابن سينا وابن رشد مكانا فى ما يسمى (اللمبو) وهى ميناء جهنم ، دخل إليها ، وهى مقر عظماء العالم من غير المسيحيين ، فإنه قد وضع الرسول محمد ﷺ وابن عمه الخليفة الراشد على بن أبى طالب فى الخندق التاسع من الحلقة الثامنة (فى الجحيم الدانتى) الذى يضمّ مثيرى الصدامات والانشقاقات الدينية والسياسية ، على حد تعبير دانتى (الذين يزرعون الفتن فيحصدون الأوزار) . (١)

والمتأمل لهذه الرواية يدرك كما يقول مترجمها تأثر دانتى بما

---

(١) ص ٦٧ من كتاب المؤلف الروسى جوارامسكى . دار المعرفة ترجمة خلف الجراد ومراجعة الدكتور / محمود زقزوق .

كان سائدًا فى العصور الوسطى بين العامة والمؤلفات التـــى ألفهـــا رجال الدين عن الإسلام ونبيه فقد تشكلت فى الـــوعى المـــسيحى القوالب النمطية الذهنية عن الإسلام ، وهى التى نشأت فى كثير من جوانبها بارتباط مسبق بنوع وطبيعة الموقف التقليدى للكنيسة مـــن الإسلام .

وبشكل عام فإن صورة الإسلام المتكونة آنذاك قـــد ضـــمت تصورات فى منتهى الخيالية والتوهم .

فالتصور النمطى المشوه عن الإسلام لم يتشكل بسبب ضعف معرفة الغرب بهذا الدين . بل إن هناك ثلاث مكونات رئيسة هـــى التى شكلت هذا التصور المشوه للرسول ودينـــه (الميثولوجيـــة ، واللاهوتية ، والعقلانية) .

وعلى سبيل المثال فإن الأدب الغربى فى العصور الوســـطى حول الإسلام وضعه رجال الدين المسيحى الـــذين اســـتندوا إلـــى مصادر شديدة التمايز والتباين كالحكايات الشعبية وقصص الحجاج إلى القدس ، وقصص القديسيين .

وأحيانا تنتزع بعض النصوص الإسلامية من سياقها الأصلى ثم تقدم إلى القارئ الغربى .

ولهذا رأينا الغرب يصور فى أدبياته رسول الله على أنه رجل مرتد عن المسيحية أو مزيف لا يملك سوى الأضاليل والادعاءات .

وفى تفسيراتهم الأقل تحفظا صور رسول الله كساحر معاد للمسيح أو هو الشيطان ذاته .

ومن هنا فقد هيمن على العقل الأوربى الموقف السلبى الصريح تجاه الإسلام ونبيه .

وأما أكبر كمية من المؤلفات فى تاريخ الإسلام فقد وضعت عن نبيه محمد – فهذا على سبيل المثال راهب دومينيكانى – معاصر لدانتى – يزور بغداد . وبدل أن يصف الحضارة الإسلامية فيها وكيف أن المسلمين يحترمون العلم ويحترمون المديانات الأخرى وإذا به يخرج على الأوربيين بالحكاية الخرافية التالية :

(بما أنه لم تكن للشيطان قدرات ذاتية كافية لوقف انتشار المسيحية فى الشرق . اخترع كتابا يمثل حلقة وسطى بين العهدين (القديم والجديد) واستخدم لأجل هذه الغاية وسيطًا من طبيعة الشيطان ذاته . أما الكتاب فهو القرآن ، وأما الوسيط فهو محمد – ﷺ – الذى يمثل دور المسيح الدجال . [1]

ومن الأساطير التى نشرت عن النبى محمد ﷺ أنه ساحر كبير استطاع أن يحطم الكنيسة فى أفريقيا بسحره . [2]

وقد صور النبى محمد أحيانا وكأنه كان كاردنيالاً للكنيسة

---

(١) ص ٧٤ الإسلام والمسيحية .

(٢) معلوم أن فتح مصر كان بعد وفاة النبى وفى خلافة عمر بن الخطاب .

الرومانية الكاثوليكية ، وكانوا يطلقون عليه اسم (ماهومت) الذى بعد أن حاول الجلوس على كرسى البابوية وفشل فى ذلك هرب إلى الجزيرة العربية وأنشأ ديانة جديدة .

وفى تآليف أخرى ألبسوا الرسول قوة ماردة جبارة ذات منشأ أجنبى أو سحرى أكسبته قدرات فائقة على خلق عجائب خيالية وهمية لجذب الناس .

وفى مؤلفات لاهوتية تذكر أنه ليس لدية قدرة على تحقيق أى معجزة خارقة الأمر الذى يرون فيه برهانا على كذبه وزيفه .

هذا عدا هيافات وتفاهات أخرى عارية عن أى منهج علمى أو تحقيق تاريخى . لا يجمعها – مع تناقضها – سوى الحقد على هذه الشخصية ومحاولة تشويه متعمد لها .

وقديمًا قال عنه المشركون ساحر وكذاب وكاهن وشاعر ومفترى للقرآن . وهى نفس إدعاءات رجال الكنيسة على رسول الله ﷺ . (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) .

❋ ❋ ❋

صورة النبى محمد

عند الغرب فى العصور الحديثة

يمكن القول أن التصورات الغربية المعاصرة حول الإسلام ونبيه لم تتكون وترتسم فى صفحة بيضاء خالية ، وإنما انعكست فى مرآة قديمة مشوهة إذ أن سكان أوربا المعاصرة ورثوا عن أسلافهم من القرون الوسطى مجموعة عريضة ورائجة من الأفكار حول الإسلام .

يضاف إلى هذا الإرث الحقد الصهيونى الذى انضم لهذا الهوس الصليبى فكونا جبهة واحدة تقوم بدور التشويه المتعمد لكل ماهو إسلامى .

فالعجلة الصهيونية لا تريد من العالم أن يلتقط أنفاسه بل تقوم ليل نهار بالكيد والوقيعة متعاونة مع الجيل الجديد الذى يطلق عليه (الأصولية الإنجيلية) أو (المسيحية الصهيونية) .

فما من يوم يمر إلا وتدنس فيه مقدسات الإسلام والمسيحية فلا تجد الآن أرضًا محتلة إلا أراضى الإسلام ، ولا تجد الآن مقدسًا ينتهك إلا مقدسات الإسلام . فالقرآن الكريم يدنس فى سجن (جوانتنامو) أمام ضمير العالم ولا أحد يتحرك .

والمسلمون يهانون ويداسون بالأقدام بل وتنتهك حرياتهم وأعراضهم فى العراق وفلسطين ولا أحد يتحرك .

ثم تأتى الروايات الشيطانية لتصور العظيم محمد – ﷺ – وآل بيته الأطهار بصورة مقززة ولا أحـــد يتحـــرك اللهـــم إلا بعـــض المظاهرات والاحتجاجات من جانب العالم الإسلامى .

أما الجانب الغربى فقد أخذت هذه الرواية جائزة (أحسن نص أدبى) فى إحدى الدول الأوربية لأن مؤلفها يسب النبى والصحابة وهذه حرية فكر عندهم .

ومؤلف الرواية المرتد سليمان رشدى يقابله الرئيس الأمريكى مدة ساعتين كاملتين تكريمًا له . فى الوقت الـــذى لا يـــسمح فيـــه للرئيس البوسنوى على عزت بيجوفيتش بالحديث معه بـــأكثر مـــن ربع ساعة .

ويوم أن يثور المسلمون غضبًا لرسولهم فهم ضد حرية الرأى وضد الإبداع .

ويوم أن رسمت إحدى اليهوديات صورة أشرف الخلق علـــى صفحات إحدى الصحف الإسرائيلية بطريقة لا تليـــق بـــأى آدمـــى فضلاً عن كونه أعظم رسول لخير أمة ، ثار المـــسلمون وتعجـــب الغرب لثائرة المسلمين ، وقالوا إن هذه المرأة مجنونة ، ولن تعاقب لأنه ليس على المجنون حرج .

ويقف أحد القساوسة ليقول عـــن نبـــى الإســـلام إنـــه زارع الإرهاب ومؤسسه ، ولا أحد يعترض عليه بل يبتسم لـــه راعـــى

السلام الأول ولا يتفوه بكلمة ، لأنه قبل ذلك ومنذ أحداث سـبتمبر ٢٠٠١ قد أعلنها أنها حرب صليبية على الإرهاب .

ورئيس وزراء إيطاليا أعلنها علـى المـلأ بـأن الحـضارة الإسلامية لن تقوى على الصمود أمام الحضارة الغربية .

ونائب الرئيس الأمريكى قال إن إله المسلمين لـن يـستطيع الصمود أمام إله المسيحية . . وهكذا .

وما نشاهده على القنوات التنصيرية من شتائم وسباب لشخص النبى محمد ﷺ ، والمواقع المخصصة على الإنترنت لـسب وشـتم الإسلام ونبيه شئ لا يتصوره عقل عاقل ، ثم كانت نهاية المطـاف وليس بآخره ما حدث على صفحات الجرائد فى الغرب .

وإن العجب حقًا ممن يتعجب من تلك الأحداث فهو أمر متوقع حيث أخبرنا الله بذلك فى قوله : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ .آل عمران : ١٨٦ .

شبهة علمانية والرد عليها :

قد قال بعض من غاظهم السخط الشعبى الذى أبداه المـسلمين تجاه ماحدث من صحافة الغرب نحو النبى محمد ﷺ :

إن الصحف الغربية قد تعودت على الحرية وأنها ترسم يوميًا

زعماء العالم فى صورة شائهة ولم نر اعتراضًا ولا تظاهرات تجوب الشوارع .

الـــرد :

هناك فرق بين الثرى والثريا . فرق بين من يعيش فى أوحال الدنيا وأرجاسها خاصة فى الغرب ، وبين من مكانه فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

فالرسول محمد ﷺ ليس بشرًا عاديًا يمكن أن نقارنه بغيره . فهو وإن كان زعيمًا وسياسيًا وقائدًا لكنه فوق ذلك رسول رب العالمين وخاتم الأنبياء والمرسلين .

والله عز وجل حذر المسلمين أن ينظروا إليه نظرهم لقرنائهم وأصحابهم ، وإن كان صاحبهم . ففى الوقت الذى قال عنه ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾ الأعراف : ١٨٤ . وقال ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ التكوير : ٢٢ . غير أنه قال فى نفس الوقت ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ النور : ٦٣ .

وقال معاتبًا ومحذرًا ﴿ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الحجرات : ٢ .

ثم بين الحق سبحانه بأن عنوان السفه وعدم الوعى هو أن ينظر المرء إلى رسول الله على أنه بشر عادى وحسب . فقال سبحانه فى حق من قال له : أخرج يامحمد ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ ﴾ . سورة الحجرات : ٤ .

معنى ذلك أن رسول الله لا تجب مساواته ولا النظر إليه على أنه إنسان عادى مثل آحاد الناس حتى ولو كانوا فى مستوى الزعماء والرؤساء .

فوالله ماخلق الإله ولا بـرى ∴ ملكًا ولا بشرًا كأحمد فى الورى

فعليه صلى الله ما قلم جـرى ∴ محا الدياجى نـوره المتبسم

وفى هذه الأيام وعلى صفحات الجرائد الغربية يتبارى الكل وبصورة منظمة ومدبرة فى الإساءة لرسول الله محمد ﷺ بدأتها الدنمارك ثم بلغاريا ، ثم نيوزلندا ، ثم فرنسا . . وهكذا .

قد جلب إبليس بخيله ورجله واستخدم هؤلاء الأوغاد لتشويه صورة سيد البشر ، والمبعوث إلى الأسود والأحمر ، والشفيع المشفع يوم المحشر ، حبيب الله أبى القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم .

نخلص من ذلك أن قافلة الشتم والسب والاستهزاء ليست وليدة اليوم بل هى منذ أن صدع الرسول محمد بأمر ربه فى مكة المكرمة .

هذه القافلة قد تختلف فى ألوانها وأجناسها وأزمانها واساليبها لكنها أبدًا لم تختلف فى هدفها وغايتها ، وهى محاولة تشويه صورة النبى ليصدوا الناس عن أن يروا النور ، ويدخلوا فى دين الله الذى سيظهره الله على الدين كله بعز عزيز وبذل ذليل .

ولا يعنى ذلك إجماع الغرب على تلك السفالات التى لا يقرها عقل أو عرف أو دين فإن أوربا والغرب بصفة عامة لم يعدم عقلاء ينطقون بالحق وإن لم يدخلوا فيه . ذلك أنهم قرأوا التاريخ قراءة واعية ، وأدركوا مدى الجهد الذى قام به رسول الله لإنقاذ المجتمع الإنسانى .

وأدركوا أيضا أن الحضارة الإسلامية قامت بدور جبار فى الحفاظ على العلم حقبة من الزمن ، كانت أوربا فى وقتها غارقة فى عصور الظلام .

وهؤلاء العقلاء سواء كانوا علماء أم ساسة ، قد أضافوا إلى حكمة العقل شرف الكلمة . وجرأة النطق بها . منهم من دخل فى الإسلام ، ومنهم من نطق بما توصل إليه وشهد بالحق .

❋ ❋ ❋

حكم المستهزئ برسول الله ﷺ

الذين أعمى الله بصائرهم وسبوا رسول الله ﷺ ثلاثة أصناف : مسلم ومعاهد وحربى .

أما المسلم : فإنه يكفر بسببه واستهزائه ويقتل بغير خـلاف ، سواء كان هذا الساب يعتقد أن ذلك حرام أو كـان مـستحلاً لـه ، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده .

وهذا هو مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإسلام قول وعمل .

يقول الإمام أحمد من شتم النبى قتل ، وذلك أنه إذا شتم فقـد ارتد عن الإسلام ، ولا يشتم مسلم النبى ﷺ .

وسئل الشافعى عمن هزل بشئ من آيات الله تعالى فقال : هو كافر . واستدل بآية التوبة : ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ التوبة : ٦٥ ، ٦٦ .

وقال القاضى عياض : جميع من سـب النبـى ﷺ أو عابـه أو عرَّض به أو شبهه بشئ على طريقة السب له والإزراء عليه ، أو البغض منه والعيب له ، فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب .

وكذلك من نسب إليه مالا يليق بمنصبه الشريف على طريـق الذم ، أو عيبه فى جهته العزيزة بسخف من الكلام ، وهجر ومنكر من القول وزور .

والذمى المعاهد : إذا سب النبى فإن عهد الذمة ينتقض بذلك ، وأنه يقتل . يقول الإمام الشافعى فى صيغة كتاب الصلح الذى يعطيه الإمام لأهل الذمة :

(وعلى أن أحدًا منكم إن ذكر محمدًا او كتاب الله أو دينه بما لا ينبغى أن يذكره فقد برئت منه ذمة الله ورسوله ، ثم ذمة أمير المؤمنين وجميع المسلمين ، ونقض ما أعطى من الأمان ، وحل لأمير المؤمنين ماله ودمه) .

ومن المعلوم أن من أظهر سب نبينا ﷺ واستهزأ به فى وجوهنا ، وشتم ربنا على رؤوس الملأ منا ، وطعن فى ديننا فى مجامعنا فذلك غاية مايكون من الأذلال لنا والإهانة .

والحق يقول : ﴿ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ﴾ التوبة : ٧ . ومعلوم أن مجاهرتنا بالاستهزاء من رسولنا والوقيعة فى ديننا يقدح فى الاستقامة . كما تقدح المجاهرة بالحرب فى العهود والمواثيق .

وإن كان المستهزئ محاربًا : فإن هذا أدعى لمحاربته إن استطعنا كما قال الحق سبحانه : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ التوبة : ١٢ .

❋ ❋ ❋

حكم استتابة الساب والمستهزئ

اختلف العلماء فى استتابة المستهزئ فمنهم من يذهب إلى قتله وعدم استتابته . يقول القاضى عياض مسألة الساب لرسول الله أقوى من الزنديق إذا تاب لأنه حق يتعلق بالنبى ﷺ لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين .

وهذا ظاهر من كلام الإمام أحمد ومالك .

يقول الإمام مالك : (من سب رسول الله ﷺ أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل مسلمًا كان أو كافرًا ولا يستتاب) .

ويقول الإمام أحمد : (كل من شتم النبى وتنقصه مسلمًا كان أو كافرًا فعليه القتل ولا يستتاب) .

ومن العلماء من قال إنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل .

ومنهم من قال : تقبل توبة الكافر ولا تقبل توبة المسلم . وقد ذكر ذلك الإمام الشافعى حيث قال : (إن من نقض العهد فإنه تقبل توبته بأن يسلم أو يعود إلى الذمة) .

وأرى أن الأمر يختلف بحسب حال المسلمين قوة وضعفا من ناحية ، وحال المستهزئ أيضا علمًا وجهلاً . إذ حال الأمى يختلف عن حال المثقف العالم مع الأخذ فى الاعتبار أن تطهير الأرض من إظهار الاستهزاء بالنبى الخاتم واجب حسب الإمكان لأنه من تمام

ظهور دين الله وعلو كلمته .

ذلك أنه حينما ظهر استهزاء أو سب أو شتم ولم ينتقم ممن فعل ذلك لم يكن الدين ظاهرًا ولا كلمة الله عالية .

فإن كان ظهور مثل ذلك فى ديار المسلمين فتلك طامة كبرى وفساد من أعظم أنواع الفساد . ولهذا وجب الحد فورًا لأن الحق فيه لله ولرسوله وللمسلمين ، وكل حد بهذه المثابة وجبت أقامته .

أما إن كان فى ديار غير ديار المسلمين . والتى يصعب على المسلمين إقامة الحدود عليهم فإن الأمر يختلف باختلاف أحوال المسلمين . فإذا كانت لهم شوكة وغلبة أقاموا ما أمروا به من قول الله ﴿ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ التوبة : ١٢ . وقوله ﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ۝١٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ الأنفال ١٢ – ١٣ . خاصة إذا كانوا محاربين لنا .

والمستهزئ قد شاق الله ورسوله .

أما إذا كان المسلمون مستضعفين فى الأرض فليعملوا بآيات الصبر والصفح عمن يؤذى الله ورسوله من الذين آتوا الكتاب والمشركين .

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله : فحيث ماكان للمنافق ظهور يخاف من إقامة الحد عليه فتنة أكبر من بقائه عملنا بآية

﴿ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾ الأحزاب : ٤٨ . كما أنه حيث عجزنا عن جهاد الكفار عملنا بآية الكف عنهم ، والصفح مع الأخذ فى الاعتبار أن ولاة الأمر من الحكماء والعلماء هم المنوط بهم تحديد إمكانية التطبيق من عدمه درءًا للهرج والفتنة .

مع العلم بأن ذلك لا يمنع من إظهار السخط ، والغضب والمقاطعة الاقتصادية من جانب الأفراد والمؤسسات الاقتصادية .

وأما حال المستهزئ فالعالم بأحوال أمة الإسلام ومسيرة النبى وكيف هو ، ثم يستهزئ . بخلاف العامة من الكفار الذين لا يدرون عن رسول الله شيئا ، ولا علموا من خبره شيئا ، وكل معلوماتهم ومعارفهم كانت عن طريق أعلام مزيف مضلل . فإن الأمر يختلف ، ذلك أن العامة توضح لهم صورة النبى على حقيقتها . وهذا يقع على عاتق العلماء والمثقفين من أتباعه ﷺ .

ماذا لو حدث اعتذار من المستهزئ ؟

هناك فرق بين اعتذار عما أصاب المسلمين من أذى نفسى ، وبين اعتذار وتوبة إلى الله وإلى رسوله .

وفى حياة النبى كان الأمر موكولاً إليه ﷺ فقد كان يقبل اعتذار المعتذر أحيانًا ، وقد يرفض أحيانًا أخرى .

فقد كان ﷺ يعصم دماء من يأتى إليه مسلمًا تائبًا لأنه صاحب الحق كما حدث من أمر كعب بن زهير الذى أكثر من شتم النبى

فى شعره . فلما جاء معتذرًا تائبًا وانشد قصيدة (بانت سعاد) قبل النبى توبته واعتذاره .

وكذلك فعل مع أبى سفيان بن الحارث وغيره كثير .

وأحيانًا كان ﷺ يأمر بضرب العنق ذلك أن الوحى ربما يعلمه بمدى صدق المعتذر من عدمه ، فيضرب عنقه كما فعل مع ابن خطل ، وهو متعلق بأستار الكعبة وقال : اقتلوه .

وقد قالوا أن رسول الله ﷺ كان يقبل بعض الأعذار ، ويرفض بعضها لأن من قبل اعتذاره :

١ – جاء تائبًا قبل القدرة عليه .

٢ – ان رسول الله ﷺ كان من خلقه أن يعفو .

٣ – أن الحربى إذا أسلم لم يؤخذ بشئ مما عمله فى الجاهلية لأن الإسلام يَجُبُّ ماكان قبله .

فالاعتذار بالكلام لا يكفى بل لابد من توبة صادقة ، وعزم على عدم الرجوع إلى مثل هذا الفعل أبدًا ، مع الندم على فعله .

وفى الحالة الراهنة التى نحن بصددها . فإن ما فعلته صحف الغرب تجاه النبى لا يكفى الاعتذار عن هذه الرسوم من جهتهم . بل لابد من إصدار قوانين تجرم المساس بالمقدسات الإسلامية خاصة مشفوعًا باعتذار حتى لا تتكرر المأساة . ثم على المسلمين أن يعتذروا لرسول الله ﷺ لما فرَّطوا فى جنب النبى ، وأن يحاولوا

أظهار الصورة الحقيقية اللائقة برسول الله ﷺ ليهلك بعد ذلك من هلك عن بيِّنة ، ويحيا من حىَّ عن بيِّنة ، فنقول للغرب :

هذا هو رسول الله الذى تسبون ، وهذا هو الرجل الذى تسيئون إليه .

❋ ❋ ❋



هذا هو النبى

- مختصر سيرة النبى .
- الحاجة إلى رسول الله ﷺ .
- صفات الرسول الخلقية .
- موازين العظمة فى رسول الله .
- أخلاقه ﷺ .

مختصر السيرة العطرة

فى بقعة من بقاع الأرض طاهرة ، حيث بلــد الله الحــرام ، وحيث بيته المحرم .

وفى صباح يوم خالد أذن الله للنور أن يتفجر ، وللــضياء أن يسطع ، وللصبح أن ينبلج .

وفى الثانى عشر من ربيع الأول . بنت وهب أنجبــت ولــدًا يتيمًا . تسبقه إرهاصات ، وتحف بمولده الكريم معجزات وكرامات وتسير معه يومًا بعد يوم بشريات ، ويحفظ النـــاس مــا ذاع مــن ذكريات مولده ونشأته الكريمة العطرة . وبدأ النور الإلهى يظهــر فى الأفق ، وأخذ الناموس السماوى يستعد لآخر رحلــة لــه إلــى الأرض .

شب محمد ونما نبيلاً شريفًا ، وفتى زكيا ، وأخرجت الأرض فى مكة وما حولها بركاتها ، ولقى قومه وقوم مرضــعته النمــاء والخير . وقدمت به حليمة السعدية على أمه بعد فــصاله ، وهــى ترجو أن يطيل لبث فتاها عندها فقبلت آمنة ورجعت مرضعته بــه فرحة مستبشرة .

وبعد شهور ، بينما كان محمد الغلام يلعب مع أترابه وأخوته فى الرضاعة إذ جاء أخوه يصرخ إلى أمه حليمة . فتقــول مالــك يابنى ؟ فيقول : ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان فاضجعاه وذبحاه

فخرجت حليمة وزوجها فوجدت الغلام محمد وهو متغيـــر اللـــون فالتزمته وقالت : مابك ؟ فقال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بـــيض فاضجعانى فشقا بطنى فالتمسا شيئا لم أدرى ماهو .

فتخوفت حليمة وأعادته إلى أمه وقـــصت ماحـــدث . فقالـــت امنة : إن لإبنى هذا لشأنا ، ولقد رأيت حين وضعته كـــأن نـــورًا خرج منى فأضاء لى قصور الشام . دعيه عنك ياحليمـــة واذهبـــى راشده .

وماتت بعد قبيل السيدة آمنة فكفله جده عبد المطلب ، ثم بعـــد وفاته كفله عمه أبو طالب حتى بلغ مرحلة الـــصبا فـــرآه بحيـــرا الراهب ورأى أمارات النبوة بادية عليه فحذَّر عمه من القدوم به إلى اليهود .

ثم شب الغلام وتاجر فى مال السيدة خديجة ، ثم تزوج مـــن السيدة خديجة وكان يتركها ويذهب ليتأمل فى ملك الله فـــى غـــار حراء .

وبينما كان محمد يتعبد فى غار حراء جاءه جبريـــل ونـــاداه يامحمد أنت رسول الله وأنا جبريل . اقرأ وربك ملهم ســـبحانه قـــد علم الإنسان مالم يعلم .

ورجع الرسول إلى خديجة وأخبرها فقالت له : أبـــشر يـــابن العم ، وذهبت إلى ورقة ومعها النبى وقص الرسول مـــارآه فقـــال

ورقة إنك نبى هذه الأمة ، وأن الذى جاءك هو الناموس الذى كان ينزل على موسى ، وأنك سوف تلاقى من الشدة والعنت ماتنوء الجبال عن حمله ، وليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك .

وكان ما كان من أمر النبى حين صدع بأمر ربه فامتلأت أسماع مكة من قدسية النغم وتساءلوا عن عظيم الهم بهم .

وكشرت الجاهلية عن أنيابها وتفننت فى إيذاء النبى ﷺ ، وذهبت أيام الراحة كما قال الرسول لخديجة لأن أعباء الرسالة ثقيلة . وقد قال له الله : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝ ﴾ . المزمل : ٥ .

ولكن الله عز وجل مع ذلك لم يتركه دون حفظ وعناية ، فحين يشتد الكرب تأتى التسرية عنه فتكون رحلة الإسراء والمعراج إيذانًا وإعلامًا بتسلم شارة القيادة وإظهارًا لإمامة هذا العظيم على الأنبياء .

ثم هاجر المصطفى إلى المدينة المنورة وتأسست دولة الإسلام ، ودخل كثير من العرب وغير العرب فى الدين الجديد ، ورسول الله لا يألوا جهدًا فى تبليغ الدعوة إلى الناس جميعًا .

ثم عاد منتصرًا فاتحًا مكة ، وأصدر عفوًا عامًا عن الذين آذوه وحاربوه وطاردوه ، ومع ذلك قال اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ثم عاد إلى المدينة ولما أتم الله عز وجل عليه النعمة ، ودخل

الناس فى دين الله أفواجًا طوعًا لا كرها حيث (لا إكراه فى الـــدين قد تبين الرشد من الغى) وأكمل الله الدين ، وأتم سبحانه النعمـــة ، وسر النبى برؤية ثمرة جهده طوال عمره الـــذى قـــارب الرابعـــة والستين ، فإذا بالجسد الطاهر تظهر عليه آثار التعب .

فجاء النداء الإلهى إلى الروح الطاهرة أن تستريح من عنـــت الدنيا وأعباء الحياة . فيقول المصطفى فى لحظاته الأخيرة مـــشيرًا إلى مكانته ومكانه الذى أعده الله له (يا فاطمة لا كرب على أبيكى بعد اليوم) ويأتى النداء يا أيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربـــك راضية مرضية) .

وتبدأ بعد ذلك مسيرة الأصحاب الذين رباهم ﷺ على عينـــه ، ثم تطوى إلى الأبد صفحة الوحى الإلهى حيث انقطعت النبوة إذ لا نبى بعده .

❋ ❋ ❋

الحاجة إلى رسول الله ﷺ

منذ خمسة عشر قرنًا ظهر إنسان فذ ، رمق ببصيرته القرون الماضية والقرون الآتية ، وامده الله بروح من عنده ، فإذا هو يتحرك فى صحراء الجزيرة حاملاً البلاغ المبين ، وكانت الظلمة كثيفة ، والخصومة ملتهبة . وكسف الضلالة تتراكم فى الشرق والغرب . وكأنما نجح إبليس فى أغواء البر والبحر فما يبدو بصيص أمل . على أن الرسول العربى الملهم ، بدأ عمله بعزم يفل الحديد ، وشرع فى تكوين الرجال الذين يؤمنون به ، ويجاهدون معه وأفلست كل المقاومات فى ثنية عن وجهته .

لقد مزّق الحجب المسدلة على الفطرة ، وانتعش العقل من غيبوبة رضته الوثنية المخرفة – كما يقول الغزالى – وصاح فى القلب الإنسانى ألا تستحى من البعد عن الذى خلق فسوى وقدَّر فهدى .

وأبصر الرجال من حوله الطريق فالتقوا به . واستمدوا من صلابته بأسًا فى إحقاق الحق وإبطال الباطل : ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ الرعد : ٣٠ .

وقراءة الرسول ﷺ ليست قراءة مجردة على نحو ما نـألف . إن تلاوته دليل عمل ورسم منهج وإيضاح خطة كما يعلن فى زماننا أى حزب عن برنامجه العام وإن كان الفرق بعيدا .

والنبى الإنسان محمد بن عبد الله له سيرة تتضح بالشرف وعظمة النفس والخلق ، وكلماته فى الآداب الخاصة والعامة تنتزع البشر انتزاعًا من طبائع الأثرة والإسفاف ويصقلهم صقلاً يجعل منهم بشرًا فى مستوى الملائكة .

❋ ❋ ❋

الصفات الخلقية والخَلقية

إنه من الصعب جدًا أن نصل إلى الحقيقة الكاملة لشخصية محمد . إننى لم ولن أستطع الحصول إلا على لمحة سريعة منها . ياله من تعاقب مثير لمشاهد رائعة !

فهناك محمد النبى ، ومحمد القائد ، ومحمد الملك ، ومحمد المقاتل ، ومحمد التاجر ، ومحمد البشير ، ومحمد الحكيم ، ومحمد رجل الدولة ، ومحمد الخطيب ، ومحمد المصلح والمجدد ، ومحمد ملاذ اليتامى ، ومحمد حامى ومحرر الرقيق ، والمدافع عنهم ، ومحمد محرر النساء ، ومحمد القاضى والحكم ، ومحمد القديس .

ولقد كان محمد بطلاً فى كل هذه المهام الجليلة ، وفى جميع مجالات النشاط الإنسانى على حد سواء .

صفاته ﷺ الخلقية كما روتها أم معبد :

عن أبى معبد الخزاعى أن رسول الله ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة هو ، وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وعبد الله ابن أريقط دليلهم . مروا بخيمة أم معبد ، فسألوها تمرا ولحمًا ليشتروا فلم يصيبوا عندها شيئا .

فنظر رسول الله إلى شاة فى جانب الخيمة فقال : وما هذه الشاة ياأم معبد ؟ قالت : هذه شاة قد خلفها الجهد (التعب) عن

الغنم . فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هى أجهد من ذلك . قال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت : نعم . فدعا رسول الله بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله ثم حلبها وشربوا حتى ارتووا ، ثم سقاها ، ثم حلبها ثانية . وغادرها وعندها لبن . ثم جاء زوجها يسوق أعنزًا فلما رأى اللبن عجب فقال : من أين لك اللبن والشاة عازبة ولا حلوبة فى البيت ؟ فقالت : مرَّ بنا رجل مبارك كان من حديثة كيت وكيت . فقال : صفيه لى . فقالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة ، متبلج الوجه حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة (أى ليس كبير البطن) ولم تزرى به صعلة (ليس صغير الرأس) وسيم ، قسيم ، فى عينيه دعج (سواد فى العين) ، وفى أشفاره وطف (طويل أهداب العين) وفى صوته صحل (بحَّة) ، أحور ، أكحل ، أزج (دقيق الحاجبين) أقرن (موصول الحاجبين) شديد سواد الشعر ، فى عنقه سطع (طول) ، وفى لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، كأن منطقه خرزات عقد يتحدرن ، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر ، أجهر الناس وأجملهم من بعيد ، وأجلاهم وأحسنهم من قريب ، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر (لا تحتقره) غصن بين غصنين ، محفود ، محشود ، لا عابس ولا مفند (لا هرم) فقال زوجها هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ماذكر ولو كنت وجدته لا لتمست أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا .

وكان على بن أبى طالب يقول فـــى وصـــفه ﷺ (لــم يكــن بالطويل الممغط ، ولا بالقصير المتردد ، كان ربعه من القوم ، لــم يكن بالجعد القطط ، ولا بالسبط (يعنى كان شعره وسطا لا جعــد ولا مسترسل) ، ولم يكن بالمطهم ولا بالمتكلثم (يعنى لــم يكــن نحيف الوجه ولا ممتلئا) ، وكان فى وجهــه تــدوير ، أبــيض ، مشرب أدعج العينين ، أهدب الأشفار ، جليــل المــشاش والكتــد (مجتمع الكتفين) إذا مشى كأنما ينحط من صـــبب ، وإذا التفــت التفت جميعا ، بين كتفيه خاتم النبوة ، أجود الناس صدرًا ، وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة ، وأكرمهم عــشرة ، مــن رآه بدهـــة (فجأة) هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه) .

ويقول هند بن أبى هالة وكان وصَّافًا : كان رسول الله فخما مفخما ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربـــوع ، وأقصر من المشذب (فارع الطول) ، عظيم الهامة ، رجل الشعر ، إذا انفرقت عقيقته فرق ، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه ، أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزج الحواجب ، سوابغ فى غير قرن بينهما عرق يدره الغضب ، أقنى العرنين (ليس أفطسًا ولا دقيق الأنف) له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم (عظم الأنف ليس طويلاً إلى طرفه) كث اللحية ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، مفلــج الأســنان ، دقيق المسربة (دقيق الشعر من الصدر إلى السرة) كان عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة ، معتدل الخلق ، سواء الــبطن والــصدر ،

أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر ، مسيح القـــدمين ينبـــو عنهما الماء ، إذا زال زال قلعًا ، يمشى هونًا ، ويخطو تكفيًـــا . إذا مشى كأنما ينحط من صبب ، خافض الطرف نظره إلـــى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جل نظره للملاحظة يسوق أصـــحابه ويبدر من لقيه بالسلام .

صفة منطقه :

كان ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة ، ليست لـــه راحـــة ، طويل السكوت ، لا يتكلم فى غير حاجة ، يتكلم بجوامـــع الكلـــم ، فصلاً لا فضول ولا تقصير ، ليس بالجافى ولا المهـــين ، يعظـــم النعمة وإن دقت ، لا تغضبه الدنيا وماكان لها ، فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له . لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلبها ، وإذا تحدث اتصل بها وضرب راحته اليمنى ببطن ابهامه اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح وجُل ضحكه التبسم .

وكان يكرم كل كريم قوم ، ويوليه علـــيهم ، ويحـــذر النـــاس ويحترس منهم دون أن يطوى عن أحد مـــنهم بـــشره ولا خلقـــه ، ويتفقد أصحابه ، ويحسن الحسن ويقويه ، ويقبح القبيح ويوهيـــه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملـــوا ، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه ، الذين يلونه من النـــاس خيـــارهم ،

أفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة .

صفة مجلسه :

وكان ﷺ لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر ، وكان إذا أنتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى المجلس ، ويعطى كل جلسائه نصيبهم لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه ممن جالسه . ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء .

مجلسه مجلس حلم وحياء ، وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤبن فيه الحرم (لا تعاب فبه الحرم) يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين ، يوقرون فيه الكبير ، ويرحمون فيه الصغير ، ويؤثرون الحاجة ، ويحفظون الغريب .

وكان دائم البشر سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخّاب ولا فحاش ولا عيَّاب ، ولا مداح ، يتغافل عما لا يشتهى .

قد ترك نفسه من ثلاث : المراء ، والأكثار ، ومالا يعنيه .

وترك الناس من ثلاث : لا يذم أحدًا ، ولا يعيبه ، ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه .

هذا هو رسول الله أيها المستهزئون به .

موازين العظمة فى شخصية الرسول ﷺ

إن للعظمة قيمًا يحكم بها على ضوئها وأسسًا تبنى عليها ، وسوف نحاول فى إيجاز ذكر بعض موازين العظمة ليتبين لنا مدى عظمة نبى الإسلام ونقدرها قدرها الصحيح .

ومن البديهى أن من يقرأ سيرة النبى محمد ويتأمل حياته يدرك أن نبى الإسلام ﷺ كان عظيمًا حقًا فى كل شئ ، وفى كل جانب من جوانب حياته .

وإن شخصية النبى قد حازت على العظمة فى كل ناحية من نواحيه من هذه القيم :

١ - القيمة الذاتية :

فالإنسان قد يوصف بالعظمة لأنه رجل ناجح فى الحياة ، وصل فى خضمها إلى كل مايريد لنفسه من نجاح فى الجاه أو المال ، أو العمل ، أو الشخصية .

وعلى ضوء هذه القيمة نستطيع أن نقول إنه ﷺ كان أكثر الناس نجاحًا فى الحياة . يتيم فقير لا حول له ولا قوة قد أصبح فى عمره القصير صاحب دعوة ورسالة ، ورائد أمة ، بل رائد الإنسانية . وصار بانى دولة فتية كان بيدها زمام الأمور فى العالم أجيالاً ، كما صار بانى حضارة ، ثم صار موضع الأمل والرجاء

فى مجتمعه ، وموضع الذكر والخلود فى التاريخ .

نشات يتيمًا ورعاك الإله ∴ بكل الفضائل يامصطفاه

واسمك يذكر بعد الإله ∴ عند الأذان وعند الصلاة

٢ – القيمة المثالية :

فالإنسان يعد ناجحًا وعظيمًا . لأنه يمثل قيمة مثالية ذات مبادئ وأخلاق يسير عليها طوال حياته لا يتزعزع إيمانه بذلك أبدًا ، ورسول الله من ذلك الجانب عظيم .فقد مثل فى نفسه وسلوكه وعمله وخلقه كل مثاليات الحياة الطيبة الرفيعة من وفاء وصدق وأداء للواجب ، ورحمة وإنسانية وشفقة وبر وتواضع . وما أصدق ما وصفته خديجة زوجه الطاهرة حيث قالت : **(والله لا يخزيك الله** أبدًا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق) .

إذًا كان هو الأنموذج العالى للإنسان المثالى وما ذلك إلا لأنه كان فى عين الله طوال عمره . وما أصدق مايقوله شوقى :

فإذا رحمت فأنت أم أو أب ∴ هذان فى الدنيا هما الرحماء

وإذا أخذت العهد أو أعطيته ∴ فجميع عهدك ذمة ووفاء

وإذا سخوت بلغت بالجود المدى ∴ وفعلت مالم تفعل الأنواء

أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى ∴ فالكل فى أصل الحياة سواء

٣ – القيمة الروحية :

وهى قيمة لها خطرها فالمصلح الدينى عظيم لأنه يمثل قيمة روحية خاصة ، والنبى عظيم والرسول عظيم لأنهما يمثلان قيمة القيم الروحية .

ولقد نزلت آخر رسالات السماء على رسول الله وشرفه الله بها فأدى الرسالة وكان للروح من رسالته قسط كبير لأنه يدرى أن إرواء هذا الجانب يمثل قمة التوازن البشرى القائم على مبدأ إشباع الروح والجسد .

وصدق الله حين يقول : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ القصص : ٧٧ .

ويقول ﷺ : (إن لربك عليك حقًا وإن لأهلك عليك حقا وإن لبدنك عليك حقا) .

٤ – القيمة الاجتماعية :

وهذه تعرف من منزلة الرجل فى مجتمعه والتفاف الناس حوله وثنائهم عليه . وكان الرسول عظيمًا فى مجتمعه سواء فى مكة أو المدينة . ففى صباه كان الصادق الأمين وكان ملئ السمع والبصر أينما حل أو ارتحل . وأما السخرية به والشتيمة له فقد جاءت من فئة كان أكبر مايغيظها هو نداء التوحيد الذى أطلقه

رسول الله . ولهذا حدد الله عز وجل موطن العداوة ومنشؤها حيث قال : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأنعام : ٣٣ .

٥ – القيمة الفكرية :

وتفكير الرسول الأعظم محمد ﷺ وإن كان مستمدًا من الوحى الإلهى إلا أنه يمثل فى شتى وجوهه الحرية والشورى والمساواة . ويمثل الحق والعدل والأخاء ، ويحارب الفساد الخلقى والانحلال ، ويقوم على عمد راسخة من الوازع الدينى فى النفس والضمير ، وهو فكر حرَّر الحياة من نظام الرق والإقطاع والوحشية ونقلها إلى عهود جديدة من المعرفة والحضارة والأخوة فى الدين والوطن والإنسانية .

٦ – القيمة الإنسانية :

فقد كان ﷺ الأب الروحى للإنسانية كما يقول صاحب كتاب (الإسلام والحضارة الإنسانية) حيث اتسع تفكيره لكل الأمم والشعوب والعناصر والأجناس والألوان دعا إلى وحدة العالم وأقام حدودًا للعدالة دخل فيها كل صاحب رأى أو صاحب دين وكل ذى عنصر .

كان قلبه الكبير يحزن للإنسانية وهى تهوى فى هوة سحيقة

من الكفر ، وكان قلبه يخفق كلما رأى دليلاً من دلائل الخير فى الناس والإنسانية ، وكان يبكى لرؤية جنازة يهودى ، وحين يسأل يقول : أليست نفسًا .

كان يحس أنه المسئول الأول عن العالم يهمه هدايته ويحزن لانحرافه عن الصراط السوى .

هذه أهم موازين العظمة فى رسول الله ، وقد تكون هناك موازين أخرى . والحق أنه بأى ميزان نزن محمدًا رسول الله يخرج بنتيجة واحدة هى عظمة هذا النبى الكريم عظمة خارقة للعادة خارجة على المألوف عظمة لم يدركها أحد من رواد العالم ومفكريه وحتى رسل الله وأنبيائه السابقين .

وهذا الذى نقوله ليس كلامًا نظريًا ولا مجرد مديح لشخصه الكريم ، بل إن تاريخه وسيرته لتؤكد لنا صدق ماقررناه من موازين العظمة ، وتطبيقه ﷺ لتلك المبادئ مايشير إلى أنه كان حقًا قرآنا يمشى على الأرض .

وإليك عزيزى القارئ النماذج التطبيقية والسلوكيات الواقعية للأخلاق المحمدية والشمائل الأحمدية والفضائل المصفوية الأمر الذى يزيد من انبهار أتباعه به وزيادة تقديرهم له وحبهم ، وأيضا مايجعل من حاول النيل منه والإساءة له بخجل من فعله معتذرًا إليه .

* * *

أخلاقه ﷺ

يامن له الأخلاق ما تهوى العلا ∴ منها وما يتعــشق الكبــراء

زانتك فى الخلق العظيم شمائل ∴ يغرى بهن ويولـــع الكرمـــاء

الحرب فى حق لـــديك شـــريعة ∴ ومن السموم الناقعـــات دواء

والبر عنـــدك ذمـــه وفريـــضة ∴ لا منَّـــة ممنونـــة وجبـــاء

وإذا أخذت العهـــد أو أعطيتـــه ∴ فجميع عهدك ذمـــة ووفـــاء

أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى ∴ فالكل فى حق الحياة ســـواء

سئلت السيدة عائشة عن خلق الرسول فى أهله ؟ فقالت : كان أحسن الناس خلقًا ، لم يكن فاحشا ولا متفحـــشا ، ولا ســـخابًا فـــى الأسواق ، ولا يجزى السيئة بمثلها ، ولكن يعفو ويصفح .

وعن أنس رضى الله عنه قال : خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لى أف ، ولا لم صنعت ، ولا ألا صنعت .

وكان رسول الله يكون فى خدمة أهلـــه ، ويخـــصف نعلـــه ، ويرقع ثوبه .

وكان إذا اشتهى طعامًا أكله وإلا عافه ولا يعيبه ، وكان مـــع علو قدره يمر على أهله الهلال ثم الهلال ، ثم الهلال ثلاثة أهله فى شهرين وما يوقد فى بيته نار ، وكان قوتهم التمر والماء . ولو دعا الله أن يصير له الجبال ذهبًا لفعل ، ولكنه آثر عيشة الكفاف يجـــوع

يومًا فيصبر ويشبع فيشكر .

وربما يدخل على أهله فيسألهم : هل عندكم طعـــام فـــيقلن : لا . فيقول إذاً إنى صائم .

ويدخل عليه عمر بن الخطاب فيرى الحصير قد أثر فى جنبه فيقول : يارسول الله ، كسرى وقيـــصر ينامـــان علـــى الحريـــر ، ورسول الله ينام على الحصير ؟ فيقول النبى : يا عمر مالى وللدنيا . إنما مثلى ومثلها كمثل رجل استظل تحت شجرة ثم ذهب وخلاَّهـــا . يا عمر فراش كسرى وقيصر فى النار ، وفراش نبيك فى الجنـــة . أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا .

♦ **ومن تواضعه** أنه قال : لا تطرونى كما أطرت النـــصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله .

وكان مع علو شأنه لا يسمح لأحد أن يحمـــل عنـــه حاجاتـــه ويقول : صاحب الشئ أولى بحمله .

وكان يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه ويقول :

اللهم لولا أنـــت مـــا اهتـــدينا ∴ ولا تـــصدقنا ولا صـــلينا

فـــأنزلن ســـكينة علينـــا ∴ وثبـــت الأقـــدام إن لاقينـــا

إن الآل قـــد بغـــوا علينـــا ∴ وإذا أرادوا فتنـــة أبينـــا

♦ **ومن تواضعه** أنه ﷺ كما يقول أنس يعود المرضى ويـــشهد

الجنازة ، ويأتى دعوة المملوك ، ويركب الحمار .

وعن الحسن بن على أنه قال : ما كانت تغلق دون رسول الله الأبواب ، ولا يقوم دونه الحجَّاب ، ولكنه كان بارزا ، من أراد أن يلقى نبى الله لقيه ، وكان يجلس بالأرض ، ويوضع طعامه بالأرض ، ويركب الحمار ، ويردف عبده ، ويعلف دابته بيده .

وكان يقول آكل كما يأكل العبد ، وأشرب كما يشرب العبد .

وقد ذكرت كتب السيرة أنه مرَّ بعجوز تحتطب فحمل عنها حطبها إلى السوق ، فقالت العجوز – وقد ظنته حمالاً – يابنى مامعى ما أكافئك به ولكن النصيحة . يابنى إن بمكة رجلاً اسمه محمد يزعم أنه نبى ، فلا تصدقه فقال لها النبى : وهل رأيته ياخالة ؟ قالت : لا . ولكن الناس يقولون . فقال : أنا هو . ولم يعنِّفها .

♦ **ومن تواضعه** كما يقول أنس : إن كانت الأمة (الوليدة) من أهل المدينة لتأخذ بيده ﷺ فتنطلق به فى حاجتها حيث شاءت .

♦ **وعن حيائه** فحدث ولا حرج فقد كان أشد حياءً من العذراء فى خِدْرها ، وكان لا يواجه أحدًا فى وجهه بشئ يكرهه ، ورأى على رجل صفره فكرهها وقال : لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة وكان لا يرد سائلاً حتى ولو كان فى حاجة إليها . فقد استحسن أحد الأعراب شملة كانت عليه ﷺ فخلعها وأعطاها له .

تقول عائشة رضى الله عنها . ماضرب رسول الله خادمًا قط ،

ولا امرأة له قط ، وما ضرب بيده إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شئ فانتقمه من صاحبه إلا أن تنتهك حرمات الله فينتقم لله عز وجل ، وما عرض عليه أمران إلا أخذ بأيسرهما إلا أن يكون مأثما ، فإن كان مأثما كان أبعد الناس له .

♦ **وأما عن مداعبته :** فقد كان الصحابة يتقاذفون بالبطيخ وهو جالس يبتسم ، وكان يداعب الصغير والكبير .

فقد قال أنس : إن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهرًا ، وكان يهدى للنبى ﷺ الهدية من البادية ، فيجهزه رسول الله إذا أراد أن يخرج فقال رسول الله ﷺ : إن زاهرًا بادينا ونحن حاضروه ، وكان الرسول يحبه ، وكان رجلاً دميما .

فأتاه النبى ﷺ وهو يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلفه ولا يبصره الرجل ، فقال : أرسلنى من هذا ؟ فالتفت فعرف النبى فجعل لا يألو ما ألصق ظهره ببطن النبى حين عرفه ، وجعل النبى ﷺ يقول : من يشترى العبد ، فقال : يارسول الله ، إذًا والله تجدنى كاسدًا . قال : لكن عند الله أنت غال .

ودخل النبى على أم سليم فرأى عمير حزينًا . فقال : يا أم سليم ما بال عمير حزينا ؟ قالت : يارسول الله مات نغيره (طائره الصغير) فقال رسول الله ﷺ يا أبا عمير مافعل النغير . وكان كلما لقاه يقول له ذلك ، وكان يركب الحسن والحسين ظهره ، ويدخل

عليه أحد أصحابه فيقول نعم الجمل جملكما . فيقول المصطفى ﷺ ونعم الراكبان هما .

وكان يقول : من كان له صبى فليتصابا ، ويدخل فى الصلاة فيسمع بكاء الصبى فيتجوز – يسرع – فى صلاته خشية أن يشق على أمه .

♦ **أما عن حسن تعامله مع النساء** : فقد كان يوصى الأب أن يحسن إلى ابنته خاصة ويقول من عال جاريتين فله الجنة ، ويقول من ابتلى بجاريتين فأحسن تأديبهن كنَّ له حجاباً من النار .

وأحسن إليها زوجة أيضا . وقال لا يكرمهن إلا كريم ، ولا يهينهن إلا لئيم ، وخيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى .

وإن الرجل ليضع اللقمة فى فم زوجته يكتب له بها أجرًا .

وأحسن إليها أمًا . فقال : الجنة تحت قدميها والبر بالوالدين خاصة الأم يعدل الجهاد فى سبيل الله ، وأوصى الأمة جميعًا بالإحسان إلى الأم حتى ولو كانت مشركة . وقال : إن الأم هى أحق الناس بحسن الصحبة .

وأحسن إليها أختًا . فقد جاءته الشيماء أخته فى الرضاعة . وذلك بعد انصرافه من (معركة حنين) فقام لها وأكرمها وأعطاها من الغنائم وسألها أن تزوره .

وأحسن إليها إبنة . فقد كان يقول : رضى فاطمة من رضاى

وسخطها من سخطى ، وكان يناديها يافاطم ، ويقول لها مرحبًا بأم أبيها ، وكان يحمل أمامة بنت أبى العاص وهى بنت زينب الكبرى فربما ترتحله وهو ساجد فلا يقوم حتى تنفض .

وأحسن إليها امرأة . لها حقوق لا تختلف عن الرجل فى التكريم . فقال : النساء شقائق الرجال ، والعلم فريضة على كل مسلم (رجلاً أو امرأة) وقال فى خطبة الوداع : استوصوا بالنساء خيرًا .

♦ **وأما عن أخلاقه مع المخالفين** : فقد كان ﷺ نموذجًا عاليًا فى أدبه مع المخالف له حيث يكرم وفادته كما فعل مع نصارى نجران ، وأوصى الأمة بأهل الكتاب خيرا وقال : من آذى ذميا فقد آذانى وأوصى بالنصارى خيرًا وقال : إنهم أقرب مودة للذين آمنوا .

وأوضح أن الاختلاف فى الدين لا يوجب التقاتل . فالمسلمون لا يبدأون أحدًا بعداوة ولا يقاتلون إلا من قاتلهم ، ومن جنح للسلم جنح المسلمون لها ، وأما من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه . وما حارب اليهود إلا لأنهم نقضوا العهود – كعادتهم – معه ، وكان يوصى بأن لا نجادل أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن .

ويوم أن انتصر الروم على الفرس فرح النبى بهذا النصر ، لأنهم أهل كتاب .

♦ **وأما عن العهود** : فلم يذكر التاريخ شخصية احترمت

عهدًا مثل رسول الله . حتى ولو كانـــت الــشروط مجحفـــة بحـــق المسلمين . وصدق القائل :

وإذا أخذت العهد أو أعطيته

فجميع عهدك ذمة ووفاء

♦ **أما عن أخلاقه الحربية :** فالمراقب للمعارك التى خاضـــها المسلمون زمن البعثة يجد أنهم قد اضطروا إليها اضطرارًا .

وكان الرسول يقول لأصحابه لا تسألوا الله لقاء العدو ، ولكن إذا لقيتموهم فاثبتوا .

ولكنهم إذا خرجوا لمعركـــة فـــإن الرســـول كـــان يـــذكرهم بأخلاقيات لابد منها فى المعارك . فقد كان يقول لهم : لا تغدروا ، ولا تغلوا ولا تقطعوا شجرًا ولا تقتلوا طفـــلا ولا امـــرأة ، وإنكـــم ستمرون بقوم قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع للعبادة فدعوهم ومـــا فرَّغوا أنفسهم له .

وقد غضب ﷺ حين رأى امرأة مقتولة فقال : ماذنـــب هـــذه وهى لم تقاتل .

وكان لا يأخذ الأعداء على غِرَّة بل يؤاذنهم أولاً . وكان يقول : لا تسألنى قريش خطة تحقن بها الدماء إلا أجبتهم إليها ووافقتهم عليها ويوم أن مكنه الله من رقاب الذين آذوه وأخرجوه . قال لهـــم مقالـــة الواثق من ربه ونفسه : اذهبوا فأنتم الطلقاء لا تثريب عليكم اليوم .

وغضب الرسول حين سمع خالد بن الوليد وهو يقول : اليوم يوم الملحمة . فقال النبى ﷺ : بل اليوم يوم المرحمة .

وحين دخل عليه يهودى وقال السام عليكم قال النبى وعليكم . وحين دعت عليه السيدة عائشة قال لها الرسول ما كان الرفق فى شئ إلا زانه .

وكان أعرابيا – بعد إحدى المعارك – قد اخترط سيف النبى ﷺ وسلطه عليه ، وقال : من يمنعك منى يامحمد ؟ فقال النبى : الله فسقط السيف ، وأمسك به النبى وقال : من يمنعك منى أيها الأعرابى ؟ فقال : يامحمد كن خير آخذ فعفا عنه ﷺ .

وكان لا يكره أحدًا على الدخول فى الإسلام بل عليه أن يعرض دين الله فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، ولا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى .

♦ **وأما عن أخلاقه مع الحيوان :** فقد كان ﷺ يرى أن فى كل ذات كبد رطب صدقه ، ويقول لأصحابه إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وحين تشتكى الإبل إليه . ينادى إن هذه العير شكت الىَّ قلة العلف وكثرة العمل . وأوصى بأن لا تذبح الشاة أمام الأخرى .

ويرى بعض الصحابة وقد جلسوا على مراكبهم يتحدثون فيقول لهم : إن هذه الدواب لم يجعلها الله مواطئ لأحاديثكم ، فرب مركوب أفضل من راكب .

ويخبرنا بأن امرأة دخلت النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض .

وبينما رجل يمشي في الصحراء رأى كلبا قد أجهده العطش فنزل البئر فملأ خفيه بالماء وسقى الكلب فغفر الله له .

وحين رأى الرسول وهو مع أصحابه طيرًا يرفرف بجناحه على رؤسهم ، قال : من فجع هذه في ولدها فقال أحد الصحابة : أنا يارسول الله . فقال النبي : رده إليها ولك الجنة .

ويخبرنا النبي أن رسولاً جلس إلى شجرة فلدغته نملة . فأحرق قرية النمل . فعاتبه الله وأوحى إليه قائلا : هلاً نملة واحدة .

ويوصي أصحابه بأن يتعاملوا مع الكون كله كأنه منظومة واحدة وخلقه الله لمهمة فلا يجب أن نفسد في هذه المنظومة ونعطلها عن عملها ، ولئن كان الإنسان يمثل رأس هذه المنظومة فإن ذلك لا يعطيه الحق في أن يتكبر ، ولا أن يتجبر بل عليه أن يعتقد بأنه : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ الأنعام : ٣٨.

هذا غيض من فيض ، ونقطة من بحر فيما ورد حقيقة عن شخصية العظيم محمد . وما ذكرناه يعتبر فقط إشارات لما خطه كتاب السيرة العطرة .

وبعد هذا العرض الموجز نتساءل : هل هذه الشخصية التـــى هذه صفاتها تستحق منا أن نهزأ بها ، ونسخر منها ؟ فهذا هـــو رسول الله محمد . وهذه هى أخلاقه يا كتَّاب وصحفيو الغـــرب إن كنتم لا تعلمون .

* * *

دليل النبوة



دلائل نبوة المصطفى

هذا الذى سخر من درة تاج الأنبياء ، وذروة سنام الرسـل . نهمس فى أذنه بهدوء واحترام أيضًا هل تعرف محمدًا الذى سخرت منه واستهزأت به ؟

وقبل ذلك أسألك : هل تؤمن بإله خالق لهذا الكون ؟ ومـدبر لهذا الوجود ؟

ظنى بك أن لا تصل إلى هذا الدرك فتنكر رب الوجود ، فلا يمكن لهذا الوجود أن يكون وجوده من نفسه . لأنه لابد لكل صنعة من صانع ، كما لا يمكن أن يكون هذا الوجود جاء نتيجـة صـدفة لأن الصدفة غير قابلة للتكرار بهذا الترتيب العجيب ، وقد سـقطت فكرة داروين القائلة بالتطور الطبيعى .

فلابد من وجود إله صانع لهذا الكون ومدبر له ، أما وأنك قد أقررت بوجود هذا الإله فلأنتقل بك إلى السؤال التالى راجيا منـك الإجابة ولك الهداية .

هل تؤمن بنبوة أحد من الأنبياء ؟

إن كنت لا تؤمن فهذا شان آخر نحتاج معك فيه إلى إقامة أدلة على ضرورة إرسال رسل إلى الخلق لهدايتهم إلى الحق والرشاد .

فأنت تعلم – هداك الله – أن العقل وحده لا يستطيع الوصول إلى حقائق الأشياء ولا إلى هداية البشر لأن العقـل مهمـا كانـت

مرتبته ومنزلته له حدود لا يتعداها .

فهو – أى العقل – يستطيع أن يقيم تجارب ، ويلاحظ ، ويبحث ، ويدقق فى حدود أمكانياته التى تعطيها له الحواس . أما إذا وصل إلى منطقة الغيب يقال له : هذا ليس عشك فادرجى . ثم إن العقول متفاوتة ، فالتفويض إليها يؤدى إلى النزاع والتقاتل .

إذًا لابد من أناس صنعهم الله على عينه واصطفاهم ليقوموا بمهمة البلاغ عنه ، وليساعدوا العقل فى ما توصل إليه ، ويفيدوا العقل بما لم يستطع الوصول إليه بمفرده من أمور تؤدى إلى أسعاد الإنسان فى الدنيا والآخرة .

ثم ألست معى – هداك الله – إلى أن الإنسان مكون من جسم وروح . وأن غذاء كل قسم من جنسه . فالأجسام غذاؤها الطعام والأرواح من الطبيعى أن يكون غذاؤها روحانيا ، ولا يمكن وصول الإنسان بعقله إلى غذاء الروح . فلابد من منهج يغذى الأرواح حتى لا يشقى الإنسان . وهذا المنهج هو الذى تأتى به الرسل لتوازن بين متطلبات الروح والجسد فى الإنسان .

فإذا سلمت معى أن البشرية لابد لها من رسل وأنبياء يبلغون عن الله مراده من الخلق وينقلون عن الله طرق سعادة البشر أقول لك إن الدليل الذى دلّ على نبوة أى نبى ممن تؤمن به مثل موسى وابراهيم ونوح وعيسى موجود فى رسول الله محمد وأظهر .

كيف ذلك ؟

اقول لك : إن الدليل على نبوة موسى مثلاً هو أن الله أعطاه أمورًا خارقة للعادة يمتاز بها عن باقى البشر . حتى لاتكون النبوة كلأً مباحًا يدعيها الصادق والكاذب . هذا الأمر الخارق هو المعجزة وهذه المعجزة هى (الكارت) الذى يدخل به الإنسان منتدى النبوة .

والمعجزة الكبرى لكل نبى لابد لها من أن تكون من جنس مابرع فيه قوم النبى حتى تكون أبلغ فى التدليل على الصدق .

وأنت تعلم – هداك الله – أن السحر كان منتشرًا زمن نبى الله موسى عليه السلام ، وأيضا كان الطب متقدما زمن روح الله عيسى عليه السلام .

فكانت معجزة موسى الكبرى هى العصا . حيث قلبها الله على يد موسى فصارت حية تسعى كأنها جان . – وأثناء التحدى وأمام السحرة العالمين بصناعة السحر – وتلقف مايأفكون ، ولهذا انقلب السحرة – على الفور – إلى مؤمنين برب العالمين ومصدقين بموسى ونبوته .

فإن صدقت بهذا فرسول الله محمد – ﷺ – كان له مثل ما كان لموسى عليه السلام .

فإن قلت : فما الدليل على نبوة محمد ﷺ ؟ أقول لك : ألست

تعرف أنه قال : إنى رسول . فإن كنت لا تدرى . أقول لك كيف تنكر مالا تعرفه ولا تدرى عنه شيئا .

وإن كنت تدرى فلتعلم – هداك الله – أن مع قوله : إنى رسول أظهر المعجزات على وفق قوله . هذه المعجزات ربما تقول أنت . أنى لم أرها ولم أطلع عليها . وهذه حجة لا تصلح إلا لمن شاهدها وأنا لم أشاهدها .

اقول لك : وهل شاهدت عصا موسى وهى تقلب حية . أم هل رأيت عيسى وهو يبرئ الأكمة والأبرص ؟

فإن قلت : هذا ورد إلىَّ عن طريق التواتر والكتاب المقدس الذى هو العهد القديم أو التوراة .

أقول لك : سلمت جدلاً بهذا وأن كان أمر العصا أيضا موجوداً فى القرآن .

لكن أيضا تواتر عندنا أن رسول الله وقعت على يديه أمور خارقة للعادة ومعجزات كبيرة وكثيرة . فانشقاق القمر مثلاً متواتر ومعلوم ، وكذلك نطق الحيوان ، وتسليم الحجر والشجر .وسماع تسبيح الحصا . . . الخ .

هذا بخلاف ماتواتر عن سمو أخلاقه واشتهاره بالصدق والأمانة .

فإن قلت لى هذا الذى ذكرت لم أشاهده أنا فهو حجة لمن

عاصره وشاهد هذه الآيات .

قلت لك : إن جاز لك إنكار هذه المتواترات فلن تستطيع إنكار المعجزة الخالدة الكبرى وهى القرآن الكريم .

فإن قلت : إن القرآن الكريم معجز من ناحية بلاغته ، وأنا لا أعرف العربية وبالتالى ليس معجزًا بالنسبة لى ، لأنه لا فرق عندى بين اللسان العربى المبين ، واللسان العامى .

أقول لك : إن القرآن معجز بفصاحته وبلاغته لأن الرسول وقت نزول القرآن تحدى به أرباب الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن معارضته حتى آثروا الحرب والنزال على أن يعارضوه ويأتوا بمثله .

ولو كان فى إمكانهم أن يأتوا بمثله لم يمنعهم أحد ، بل إنهم كانوا يسترقون السمع للقرآن حين يتلوه رسول الله لقوة بلاغته وبيانه .

ولو قرأت – هداك الله – عن العرب لعلمت أنهم أمة كلام وبلاغة لدرجة أنهم كانوا يقيمون أسواقًا للكلام والشعر .

فعجزهم عن الإتيان بمثل هذا القرآن دليل إعجازه .

وكونك لا تعرف العربية لا يقلل من قيمة هذا الإعجاز كما أن كونك لا تعرف السحر لا يقلل من إعجاز عصا موسى ، ولا يقدح قادح فى إعجاز عيسى فى إبراء الأكمه والأبرص . أنه لا يعرف

فى الطب شيئا ومع كل ذلك فلن أتحدث معك عـن كـون القـرآن معجزًا ببلاغته وفصاحته ، ولا لإخباره عن الغيوب الماضية ، ولا إخباره عما يجول فى نفوس الناس ساعة نزوله ، ولا إعجازه فـى تأثيره على النفوس البشرية ، ولا إخباره عن غيوب مستقبلة .

وإن كان كل ذلك يصح أن يكون معجزًا لكن يا اخـى هـل تؤمن وتصدق معى بالاكتشافات العلمية الحديثة ، والتقدم العلمـى غير المسبوق خاصة فى الأوساط الغربية . أظنك لا تـستطيع أن تنكر هذا الذى تخوض فيه خوضًا .

والمشهور المتواتر عن رسول الله أنه لم يكن يقرأ أو يكتب .

وهب أنه كان يقرأ ويكتب فهل يـستطيع أن يتنبـأ بأحـداث وحقائق سوف تظهر بعده بأربعة عشر قرنًا من الزمان .

والقرآن الكريم فى طريقة عرضه للهداية والإعجـاز علـى الخلق قد حاكم الناس إلى عقولهم ، وفتح عيونهم إلى الكون ومافى الكون من سماء وأرض ، وبر وبحر ، وإنسان وحيـوان ونبـات وخصائص ونواميس . وكان حديثه عن كل ذلـك حـديث العلـيم بأسرارها ، الخبير بدقائقها المحيط بعلومها ومعارفها ، على حين أن هذا الذى جاء بالقرآن رجل أمىٌ نشأ فى أمة أمية لا صلة لها بتلك العلوم وتدوينها ، بل إن بعض تلك العلوم لم ينشأ إلا بعد عهد النبوة بقرون طويلة . فأنى يكون لرجل أمى كمحمد السجل الجامع لتلـك

المعارف كلها إن لم يكن تلقاه من لدن حكيم عليم ؟

ثم ألا تدرى – هداك الله – أن الحق سبحانه قد أخبر أن الأزمنة كفيلة بفك شفرة هذه العلوم فقال سبحانه : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ فصلت : ٥٣ .

فإن قلت لى : ما الحقائق التى أخبر عنها النبى ولم تظهر إلا فى العصر الحديث ؟

أقول لك : إن الرجل الأمى الخارج من وسط الصحراء القاحلة ، وفى وسطِ العالم كله كان يشهد ببداوته وأميته .

هذا الرجل نزل عليه كتاب مشحون بحقائق وإشارات أعجزت الناس منذ نزوله وحتى الآن ، وسوف أعطيك – أخى – بعض هذه الحقائق :

❑ **فى القرآن الكريم إشارة إلى كروية الأرض** فى مثل قول الله : ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾ الزمر : ٥ .

فهل كان فى زمنه ﷺ " ميكروسكوب " يستطيع به بيان ذلك ، والقول بكروية الأرض فى الغرب لم يكن إلا فى القرن السابع عشر . فمن الذى أخبر محمدًا بهذه الحقيقة العلمية ، قبل اكتشاف الآلات والمراصد . مع العلم أن المعارف السابقة على البعثة منذ بطليموس كانت تنكر هذه الحقيقة أو على الأقل تنادى بمركزية الأرض للكون . وليست عندها فكرة عن كروية الأرض .

فإن قلت : أن العلم الحديث أثبت أنها بيضاوية الشكل .

قلت لك : وكذلك القرآن الكريم قالها صراحة : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ النازعات : ٣٠ . والدحية عند العرب هى البيضة .

☐ **واتساع الكون** : أمرٌ قرره العلم الحديث الذى قال : إن الكون فى اتساع مطرد . ولابد لهذا الاتساع من نهاية يطلقون على هذه النهاية (يوم الأنفجار العظيم) .

والقرآن يقرر ذلك فى قوله : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ الذاريات : ٤٧ .

☐ **ومراحل تطور الجنين فى بطن أمه** من نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظام ، ثم يكسى العظام لحما . مذكور فى القرآن الكريم وقررته الأبحاث العلمية الحديثة كما هو معروف .

وقول الحق سبحانه : ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ الحج : ٧٣ . إشارة علمية إلى أن مجرد التقاط الذباب لشئ يتحول إلى سائل وذلك لوجود الجهاز الهضمى للذباب فى خرطومها .

والعلم الحديث يثبت ذلك . ولم يكن رسول الله الذى نزل هذا الكلام على قلبه لديه المعامل والمجاهر التى تثبت ذلك .

☐ وفى مجال (علم تحقيق الشخصية) يقول الله عز وجل

مبينًا ومقررًا كمال اقتداره على إعادة الإنسان وبعثه بعد موته : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝ ﴾ القيامة : ٣ ، ٤

أرجوك أيها الأخ أن تقف قليلاً عند تخصيصه (البنان) بالتسوية فى هذا المقام ، ثم تستمع بعد ذلك إلى هذا العلم الوليد (علم تحقيق الشخصية) فى عصرنا الأخير وهو يقرر : أن أدق شئ وأبدعه فى بناء جسم الإنسان هو تسوية البنان حتى أنه لا يمكن أن تجد بنانًا لأحد يشبه بنان آخر بحال من الأحوال ، وقد انتهوا من هذا إلى أن حكموا البنان فى كثير من القضايا والحوادث .

ثم وفى السنة النبوية من الإشارات العلمية مايتوافق معها معطيات العلم الحديث . مثل قوله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى تعود أرض الحجاز مروجًا وأنهارًا) .

فهل كان رسول الله ﷺ عالم جيولوجيا حتى يستطيع معرفة هذه الحقيقة التى مفادها أن الجزيرة العربية كانت مروجًا وأنهارًا ، وأنها ستعود كما كانت عليه .

كل ذلك وغيره جعل أحد المتخصصين الغربيين يقرر فى مؤلفاته عن طريق المقارنات بين الحقائق العلمية فى القرآن والعلم الحديث – وهو العالم والبحاثة الغربى (موريس بوكاى) – أن

القرآن يحتوى على الإعجازات العلمية التى لا ينكرها إلا جاحد .

إذًا ألست تقر معى – أيها الكريم – أن محمدًا له من دلائل الصدق ما للأنبياء قبله وزيادة خاصة هذا الكتاب الذى بين أيدينا والذى يحتوى على كثير من أوجه الإعجاز العلمى والقانونى والاجتماعى والكونى والنفسى .

هذا عدا خصاله وأخلاقه ﷺ التى تضطر إلى التسليم له اضطرارًا .

فإن أنت سلمت برسالته وصدقت بنبوته فلك جزاء الحسنى وسوف نقول لك من أمرنا يسرًا . وصرت بعد هذا الأقرار بنبوته أخًا لنا فى الإسلام .

وإن أبيت إلا الإنكار وإلا الثبات على دينك فانت أيضًا أخ لنا فى الإنسانية وسنقول لك إشهد بأننا مسلمون ، وأن لكم دينكم ولنا ديننا ، وأن الله سوف يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ، وإلى أن نلقاه فى الآخرة فعلينا التعاون على العيش فى سلام ، وفى احترام متبادل ، لأن الأرض تتسع للجميع حيث وضعها الله للأنام .

فإن أبيتم إلا الاستهزاء والسخرية فلتعلم يا أخى أننا :

أولاً : مأمورون باحترام كل الأنبياء فلن نبادلكم السباب والسخرية لأننا أحق بالأنبياء منكم لأن من يسخر من موسى فكأنه سخر من محمد ﷺ .

ثانيًا : سوف ندافع عن رسولنا محمد بأرواحنا ولن نسمح بتكرار هذه السخائم مادام فينا عينٌ تطرف .

ثالثًا : وأخيرًا لا يغرنكم القوة العسكرية التى تتترسون خلفها ولا الضعف الذى يبدو من حكوماتنا . فإن لنا أنيابًا أقوى من أسلحتكم ، وعندنا من وسائل الضغط مايجبركم على احترامنا ، وفوق ذلك لن يتركنا ربنا حين يعلم صدق عزمنا فى الدفاع عن أحب الخلق إليه . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

* * *

شهادة المنصفين من علماء الغرب

على الرغم من تلك الصورة الشائهة لرسول الله وللإسلام المركوزة فى عقل الإنسان الغربى والتى ساعد على تركيزها رجال الكنيسة وجهل المجتمع الغربى بالإسلام والمسلمين فإن بعض العقلاء والمفكرين والساسة قد نطقوا بالحق .

ومن هؤلاء الغربيين من ظل موثقًا بقيود الماضى إلا أن القوة الذاتية للحق أجبرته على أن يقول كلمة حق ، ومنهم من حطمَّ هذه القيود فأعلن إسلامه . ومنهم من يصرح بانبهاره بالإسلام ونبى الإسلام ، ولاح من كتاباته عبارات مفعمة بعبير الإيمان لكن مع ذلك لم يشتهر عنه أنه أسلم (والله عليم بذات الصدور) وأياً ماكان فإن هذه الشهادات قد ألمح بها القرآن فى أكثر من آية حيث قال : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾ سبأ : ٦ .

ويقول : ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ الإسراء : ١٠٧ – ١٠٩ .

وسوف نذكر بعضا من شهادات هؤلاء العلماء ونحيل القارئ إلى المراجع الخاصة بهؤلاء لمن أراد الاستزادة من ذلك .

❒ **يقول الدكتور ميجيل ايرناندت** الأستاذ بجامعة مدريد فى

بحث له بعنوان (الجذور الاجتماعية والسياسية للصورة المزيفة التى كونتها المسيحية عن النبى محمد) لا يوجد صاحب دعوة تعرض للتجريح والإهانة ظلمًا على مدى التاريخ مثل محمد ، وإن الأفكار حول الإسلام والمسلمين وبينهم محمد استمرت تسودها الخرافة حتى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى ، ولم يمنع الاحتكاك المباشر بين الطائفتين من انتشار هذه الخرافات . [١]

❐ **يقول مونتجمرى وات** فى كتابه (الإسلام والمسيحية) لست مسلمًا بالمعنى المألوف ، ومع ذلك فإنى أرجو أن أكون مسلما كإنسان استسلم لله . بيد أنى أعتقد أن القرآن وغيره من تعبيرات المنظور الإسلامى ينطوى على ذخيرة هائلة من الحق الإلهى الذى مازال يجب علىَّ أنا وآخرين من الغربيين أن نتعلم منه الكثير .

ومن المؤكد أن الإسلام منافس قوى فى مجال إعطاء النظام الأساسى للدين الوحيد الذى يسود فى المستقبل . [٢]

❐ **ويقول مايكل هارت** : العالم الأمريكى والذى يعمل فى وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية ناسا . يقول فى كتابه (العظماء مائة أعظمهم محمد) .

أن اختيارى محمدًا ليكون على رأس القائمة لأعظم

(١) ص ١٢ من كتاب الإسلام فى الفكر الغربى .

(٢) M. Watt : Aslam and christionity today london .

الشخصيات العالمية قد يدهش بعض القراء كما أنه قد يكون محـل تساؤل من البعض الآخر . لكن محمدًا هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذى بلغ أعلى درجات النجاح على المستويين : الدينى والدنيوى .

لقد استطاع محمد رغم أنه جاء من أصول متواضعة أن يؤسس وينشر واحدة من أعظم ديانات العالم ، كما أصبح زعيمًا سياسيا ذا تأثير هائل . واليوم وبعد مرور ثلاثة عشر قرنا على وفاته لا يزال تأثيره قويا واسع الانتشار . [١]

❐ **ويقول هربرت فيشر** فى كتابه (تاريخ أوربا) إن نجاح المسلمين فى الانتشار وحكم البلاد التى فتحوها كان متوقفا على سياستهم الحكيمة فى التسامح التى مارسوها تجاه اليهود والمسيحيين ، ولقد اشتمل الدين الإسلامى على قدر كبير من السياسة . ولقد ساهمت الشعوب الإسلامية فى تقديم عصر رائع للآداب والفنون التى مكنت شعوب الإسلام من السيادة الفكرية للعالم طيلة أربعة قرون ، بينما كان العقل الأوربى غارقا فى قيعان الجهل والكسل . [٢]

❐ **يقول المؤرخ الفرنسى لامارتين** فى كتابه (تاريخ تركيا)

---

(١) M : Hart : the ١٠٠ : A Ranfing of the Most influential persons history pp ٣٣

(٢) H . Fisher : Ashort History of Europe , vol , pp, ١٥٠ .

لو أن عظم الغاية ، وصغر الوسائل ، وقلة الموارد والنتائج المدهشة . هى ثلاثة معايير لعبقرية الإنسان ، فمن يجرؤ على مقارنة أى رجل عظيم فى التاريخ الحديث بمحمد ﷺ .

إن أشهر الرجال صنعوا الأسلحة ، وشرعوا القوانين ، ووضعوا النظريات ، وأسسوا الإمبراطوريات فقط . فهم لم يؤسسوا أكثر من قوة مادية ، أو سلطات مادية كثيراً ما انهارت وزالت أمام أعينهم .

أما هذا الرجل – محمد ﷺ – فإنه لم يحرك ويؤثر فى الجيوش ، والتشريعات والإمبراطوريات والشعوب والأسر الحاكمة فقط ، ولكنه حرّك وأثر فى ملايين الرجال . بل الأكثر من ذلك أنه أزاح الأنصاب والمذابح والآلهة الزائفة وأثر فى الأديان وغيَّر الأفكار .

إن فكرة وحدانية الله التى أعلنها ، ونادى بها ودعا وسط السأم الشديد من النظريات اللاهوتية الخرافية غير القابلة للتصديق كانت فى نفسها معجزة بحيث أنه بمجرد أن صرح بها دمرت جميع الاعتقادات الخرافية القديمة .

إن صلواته ودعواته المتصلة ، وأحاديثه ومناجاته مع الله ووفاته ، ونجاحه وانتصاره بعد وفاته ، كلها أمور لا تشهد على أنه كان دجالاً ، أو مدعيا للنبوة ، ولكنها تشهد على أيمان راسخ منحه

القوة لكى يحى ويجدد العقيدة . وهذه العقيدة كانت ذات شقين هما : وحدانية الله وأن الله ليس كمثله شئ . فهو حكيم وخطيب ورسـول ومشرع ومقاتل وسيد على الأفكار ، ومحيى ومجـد للاعتقـادات المعقولة والمنطقية ومؤسس لعشرين امبراطورية أرضية أو دنيوية ، وامبراطورية واحدة روحية أو دينية (**هذا هو محمد**) .

❐ **ويقول القس بوزوورت سميث** عن محمد ﷺ : لقد كـان محمد رئيسًا للدولة ولجماعة تدين بنفس العقيدة ، ولقد كان يجمـع سلطة ومقام قيصر والبابا معًا ، ولكنه بابا بـدون خـيلاء البابـا وغروره ، وقيصر بلا فيالق أو حشود ، وبـلا جـيش عامـل ولا حرس شخصى ، ولا قوة من الشرطة ، ولا دخل ثابت .

لو أن ثمة رجل كان له الحق فى أن يدَّعى أنه يحكم بـالحق الإلهى فقد كان هذا الرجل هو محمد فقد كانت معه جميع السلطات من غير أن يكون معه مايدعمها ، أو يحافظ عليها . وقـد كانـت بساطة حياته الخاصة متطابقة ومنسجمة مع حياته العامة (**هذا هو محمد**) .

❐ **يقول فولتير** (فى القاموس الفلسفى ، وفى المجلد السابع من هذا القاموس) : لا يزال القرآن فى واقع الأمر يـشتهر إلـى اليوم بأنه الكتاب الأكثر تميزًا ، ومع ذلك لقد ألصقنا بالقرآن مـالا نهاية له من السفاهات التى لم تكن به على الإطلاق ، ولقـد كتـب

رهباننا الكثير من كتب المطاعن هذه إذ لم تكن هناك وسيلة تمكنهم من مواجهة فاتحى القسطنطينية كما أن مؤلفينا والذين هم فى كثرتهم الهائلة أكبر عددًا من جنود الانكشارية (العثمانيون) لم يجدوا صعوبة تذكر فى جعل نسائنا تقف فى صفهم .

لقد أقنعوهن بأن محمدًا لم يعتبرهن ضمن الحيوانات العاقلة ، وأنهن جميعا إماء وفق شريعة القرآن ، ولن ينلن أى خير فى هذه الحياة ، وفى الحياة الأخرى لا نصيب لهن فى الفردوس ، ومن الواضح أن هذا كله كذب وافتراء ، وكان يكفى قراءة السورتين الثانية والرابعة من القرآن (البقرة – النساء) حتى يهتدى الناس إلى الحق . . ففيهما مايكفى لعمل مصالحة بين النساء ومحمد الذى لم يعاملهن أبدًا بمثل تلك الشدة المزعومة .

وفى المجلد الثامن من قاموسه الفلسفى . يقول فولتير مخاطبًا مواطنيه وخاصة طبقة الكهنوت الذى يتزعمون حملة التشهير بمحمد ودينه وأتباعه وهو نفس الخطاب التى نتوجه به إلى زعماء حملة الإساءة إلى سيد البشر على صفحات الجرائد الغربية .

يقول فولتير : أكرر لكم القول أيها الجهلة الأغبياء الذين خدعهم جهلة آخرون إذ أقنعوكم بأن الديانة المحمدية ديانة شهوانية ، ولذات جسدية . بينما هى ليست شيئا من ذلك ، ولقد خدعتم فى هذا الموضوع كما خدعتم فى موضوعات أخرى كثيرة .

وكان فولتير قد كتب فى بداية حياته الأدبية – وتحت تأثير

رجال الدين – ـرحية شهيرة بعنوان : التعصب أو محمد النبـــى عرضت لأ ! مرة فى مدينة ليل بفرنسا عام ١٧٤١ م . وفى هـــذه المسرحـ : يصف النبى بما كان سائدًا عنه فى أوربا فى ذلك الوقت – ؛ رال إلى الآن – بأنه كان دجالاً ومستبدًا ، تحركه الـــشهوات ـحسية ومتعطشًا للدماء . (١)

وللحق فإن فولتير قد عدل من موقفه بعد ذلك ونعت محمـــدًا بكل أوصاف التمجيد والإكبار ، ومن حسن الحـــظ – كمـــا يقـــول الدكتور زقزوق – أن هذا الموقف الأخير هو الذى ذاع وانتشر فى الأوساط الثقافية فى فرنسا آنذاك .

يقول روجيه باسكيه السويسرى فى كتابـــه (اكتـــشاف الإسلام) يجب الاعتراف بأن الدراسات الاستشراقية فى الغرب لم تكن مستوحاة أبدًا من روح النزاهة العلمية الخالـــصة ، ولا يمكـــن إنكار أن بعض المتخصصين فى الدراسات الإسلامية والعربية قـــد قاموا بأبحاث بهدف واضح هو تحقير الإسلام والمسلمين . . تلـــك هى الأسباب التى جعلت الإسلام مجهولاً فى الغرب حتى الآن .

إن الإسلام يقيم مصالحة بين الإنسان وبين الله ، كما يقيمهـــا بينه وبين الكون ، ويقدم الدواء الناجح لعلاج الشر فى هذا العصر إن الإسلام يقدم الحل الأكثر وضوحًا وجوهرية وحتمية من أجـــل

---

(١) الإسلام فى تصورات الغرب للدكتور / محمود زقزوق ص ١٤٢ .

مواجهة التحدى الحديث .

🗍 **يقول برناردشو** : كنت دائما أحتفظ لدين محمد عندى بأعلى التقدير وذلك بسبب حيويته المدهشة ، إنه الدين الوحيد الذى يبدو لى أنه يمتلك القدرة على استيعاب تغير أطوار الحياة بما يجعله محل إعجاب لكل العصور ، ولقد درست محمدًا – ذلك الرجل العجيب – وفى رأيى أنه أبعد مايكون عمن يسمى ضد المسيح ، ويجب أن يسمى منقذ البشرية .

إنى أعتقد لو أن شخصا مثله تولى الحكم المطلق للعالم المعاصر لنجح فى حل مشاكله كله بطريقة تجلب له ماهو فى أشد الحاجة إليهما من سلام وسعادة . (١)

🗍 **ويقول إدوارد جيبون الإنجليزى** : إن عبقرية النبى العربى وسلوكيات أمته وروح ديانته كل ذلك يتضمن أسباب انحدار الإمبراطورية الرومانية الشرقية ، وإن أنظارنا لتتجه فى دهشة نحو واحدة من أكبر الثورات الجديرة بالذكر فى العالم والتى طبعت بعمق أثرًا جديدًا وخالدًا فى أمم الأرض . . . إن مواهب محمد تجعلنا نكيل له المديح إلا أن نجاحه ربما كان هو الذى جذب بقوة انتباهنا إليه ، وإن مايستحق إعجابنا ليس إنتشار ديانته وإنما استمراريتها .إن نفس الانطباع النقى الكامل الذى حفره فى الأذهان

---

(١) ص ٢٢ الإسلام فى الفكر الغربى .

فى مكة والمدينة لا يزال مصوبًا إلى اليوم بعد انقضاء اثنى عشر قرنا .

لقد نفث محمد بين المؤمنين روح الأخوة والإحسان ، وأوصى بممارسة الفضائل الاجتماعية ، وكبح بشريعته وتعاليمه الأخلاقية التعطش إلى الانتقام وظلم الأرامل واليتامى . [1]

❐ **يقول جوته الشاعر الألمانى** الشهير فى كتابه (الديوان الشرقى الغربى) : أن نبى الإسلام كان رجلاً قويًا ممتازًا فى كل شئ ، وكثيرًا ما اوضح لقومه أنه ليس شاعرًا ، بل نبى فحسب . ومن ثم يجب أن ينظر إلى قرآنه كشرح إلهى ، وتعليم سماوى ، وليس كتابًا إنسانيًا للدراسة والمتعة فحسب .

وفى الكتاب الذى جاء به محمد تفسير لغاياته وشريعته ودعوته ، ويشتمل على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ونحن إذا قرأنا القرآن ألزمنا بالإعجاب به وتقديره ، واحترامه ، وإمعان النظر فيه .

ويقول أيضا : وكان محمد يسلك أسلوبًا منطقيا عاليًا فى إبلاغ دعوته ، ومن ثم يحارب الخرافات .

❐ **ويقول موريس بوكاى :** والواقع أننا ملزمون بملاحظة أن المعطيات الخاصة بالإسلام مجهولة عموماً فى بلادنا الغربية ، ولا يدهشنا

---

(١) ص ٣٨ الإسلام فى الفكر الغربى .

ذلك إذا تذكرنا الطريقة التى اتبعت فى تثقيف الأجيال الكثيرة فيما يتعلق بالقضايا الدينية لدى الإنسان ، وكيف فرض عليهم الجهل فى كل مايمس الإسلام .

وهكذا فإن الاستعمال السائد حتى اليوم فى التسميات مثل : الدين المحمدى ، والمحمديون . ليدل على الرغبة فى أن تظل النفوس مقتنعة بذلك الرأى الخاطئ القائل بأن تلك معتقدات انتشرت بفضل جهاد رجل ، وأنه ليس لله مكان فى تلك المعتقدات .[1]

🕮 **وفى الوثيقة التى صدرت عن سكرتارية الفاتيكان** بعنوان (توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين) والتى اعترفت صراحة بأنه تجب مراجعة الطريقة التى تناولت الإسلام .

ولذا قالت (يجب مراجعة مواقفنا إزاء الإسلام ، ونقد أحكامنا المسبقة . وعلينا أن نهتم أولاً بأن نغير تدريجيًا من عقلية إخواننا المسيحيين فذلك يهم قبل كل شئ ، ويجب التخلى عن الصورة البالية والتى ورثنا الماضى أياها أو شوهتها الفريات والأحكام المسبقة ، كما يجب الاعتراف بالمظالم التى ارتكبها الغرب المسيحى فى حق المسلمين .

وعلينا أن نتحرر من أكثر أحكامنا المسبقة خاصة ، وهنا أيضا علينا أن نتطهر وبعمق من عقلياتنا ، نقول ذلك ونحن نفكر

---

(١) ص ٦ من كتاب القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم . موريس بوكاى .

بالذات فى بعض الأحكام المجهزة التى كثيرًا مانصدرها باستخفاف عن الإسلام ، ويبدو لنا هامًا وأساسيًا أن نكف عن أن ننمى فى مكنون قلوبنا النظرات المتسرعة بل التحكمية تلك التى لا يتعرف فيها المسلم المخلص على نفسه) .

❐ **ويقول ولز** (الدين الحق الذى يساير المدنية هو الإسلام ، وحسبك القرآن وما فيه من نظريات علمية وقوانين وأنظمة لربط المجتمع ، فهو كتاب علمى اجتماعى تهذيبى خلقى) . (١)

❐ **ويقول مسيو ليبرى** : (لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا عدة قرون) .

❐ **ويعترف بريفولت** : بأن العلم الإسلامى والحضارة الإسلامية تضافرتا على بعث باكورة الحياة العلمية فى أوربا فيقول : (وإنه على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الأوربى إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة ، فإن هذه المؤثرات توجد أوضح ماتكون وأهم ماتكون فى نشأة تلك الطاقة التى تكون ما للعالم الحديث من قوة متمايزة ثابتة ، وفى المصدر القوى لازدهاره – **العلوم الطبيعية – وروح البحث العلمى**) (٢) .

---

(١) انظر : الإسلام والمدنية الحديثة لأبى الأعلى المودودى .

(٢) عباس العقاد التفكير الدينى فى الإسلام .

ثم يقول : (إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من اكتشافات مدهشة فحسب ، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من ذلك ، إنه يدين لها بوجود نفسه) . [١]

ويعلق مفكر فرنسى على نتائج (معركة بواتيه) التى كانت تسمى بلاط الشهداء . **وهو مسيو كلود فاير فيقول :** (كانت فاجعة من أشأم الأحداث التى نكبت بها الإنسانية فى العصور الوسطى ، وكان من آثارها أن غمرت العالم الغربى موجه من التوحش لم تبدأ فى التبدد إلا فى عصر النهضة . هذه الفاجعة التى أريد أن أمقت ذكراها . هى هذا الانتصار البغيض الذى ظفر به أولئك البرابرة من الأفرنج بقيادة شارل مارتل . ففى ذلك اليوم المشئوم تراجعت المدنية ثمانية قرون إلى الوراء ، ويكفى المرء أن يطوف بفكره فى الأندلس وحضارتها الخالدة ليعرف ماذا عسى تكون قد بلغته فرنسا منذ ذلك العهد السحيق لو أنقذها الإسلام) . [٢]

ويقول الفيلسوف الألمانى نيتشه : (لقد حرمتنا المسيحية – بعد طرد المسلمين من الأندلس – من ميراث العبقرية القديمة ، ثم حرمتنا بعد ذلك من الإسلام . لقد ديست بالأقدام تلك المدنية العظيمة مدنية الأندلس العربية . ولماذا ؟ لأنها نشأت من أصول

---

(١) نفس المصدر .

(٢) الإسلام والحضارة الإنسانية ص ٢٠١ .

رفيعة ، إن تلك المدنية الإسلامية لم تنكر الحيــاة ، ولقــد قاتلهــا الصليبيون وكان أولى بهم أن يركعوا لها ، وما مدنيتنا فــى هــذا القرن إلا دانية بجانب مدنية الإسلام) . (١)

❐ **وقد فنَّد المستشرق الأمريكى " اسبوسيتو "** الادعــاءات التى تزعم بأن الحضارة الإسلامية هــى العــدو الجديــد للغــرب المسيحى قائلاً : إن الخطر الإسلامى هو مجرد وهم ليس له ظــل من الحقيقة فليس صحيحًا ما يقال بأن الــدين الإســلامى يعــادى الغرب ، وأنه لا يقر الديمقراطية منهجًا للحكم إن المشكلة الحقيقية تكمن فى عدم الفهم الصحيح لحقائق هذا الدين .

ذكرت صحيفة الأخبار ، وفى صحيفة الراية القطريـــة بتاريخ ١٤٠٤/١/١٠ هـــ أن عشرات الألوف مـــن الفرنـــسيين اعتنقـــوا الإسلام ، وأنهم من بيئات مختلفة وثقافات شتى ، وأن الذى يعرف الإسلام يتشبث به ويأبى التحول عنه .

وقالت صحيفة (لاكتواليتيه) كبرى الصحف الكاثوليكيـــة أن أكثر الذين يدخلون الإسلام ينتمون إلى الحركة الواســعة الانتــشار المعروفة بالعودة إلى الروحانيات . والتـــى ينتمـــى إلـــى رجـــاء جارودى ، وميشيل شوديكو ، والفنان موريس بيجار .

---

(١) ص ٢٠١ من كتاب الإسلام والحضارة الإسلامية . د / محمد عبد المنعم خفـــاجى – دار الكتاب البنانى – بيروت .

وقالت الصحيفة الكاثوليكية : إن هؤلاء الناس اجتذبهم الإسلام ببساطته وبأنه دين حى ، وقالت الصحيفة إن أحد الشبان صرح لها بأنه وجد فى الإسلام ما افتقده فى غيره ، وأنه دين يوجه إلـــى الله دون وسيط . [١]

* * *

(١) مستقبل الإسلام ص ٩ . للشيخ محمد الغزالى .

الحرية بين الغرب والإسلام

- الحرية العرجاء .
- الحرية والانفلات .
- الإسلام وتقديس الحرية .



الحرية العرجاء

فى الوقت الذى تنافست الصحف الغربية فى شططها ووقاحتها فى استهزائها بالإسلام ، ونبى الإسلام متشدقة بدعوى حرية الرأى والفكر . طالعتنا صحيفة الأهرام بتاريخ ٢٠٠٦/٢/٢١ بخبر الحكم الذى أوقعته إحدى المحاكم النمساوية بسجن المؤرخ البريطانى (دافيد ايرفينج) ثلاث سنوات لأنه أنكر " الهولوكوست " وهى مفارقة عجيبة فى بلاد تتغنى بمساحة هائلة من الحرية .

وهذا الحكم يتزامن مع الانفلات الذى حدث فى إهانة الإسلام ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام دون أن يتبرع أحد من كتاب الغرب ليرد عن نبى أحد الدينين الكبيرين اللذين يسودان العالم الآن غائلة هذا التوحش والتهجم البذئ ، المخالف لكل الأعراف فى احترام الرسل والأنبياء .

والمشكلة هى اعتبار ذلك من باب حرية الرأى . دون أن يستوقف هؤلاء الغربيين هذا التناقض الصارخ الذى يهدهد اليهود ولا يستثنى الصهيونية ولا توحشها ولا جرائمها ولا ترسانتها النووية من هذه الهدهدة .

والأعجب من ذلك كله أن يتراجع المؤرخ البريطانى تحت الضغوط التى تعرض لها عما أبداه . مع أن هذا الكاتب ليس صاحب عبارة شاردة يتراجع أو يعتذر عنها ، ولا صاحب هجوم

متهجم ضال مفتئت يبرر معاملته من قبـل المحكمـة كـالمجرمين بحيث يحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات .

مع أن الرجل – كما علمت – لم ينكر المحرقة كاملة ولكنـه وبأسلوب علمى أثبت أن كثيرًا من الأسماء الواردة فى المحرقة قد ماتوا – وبالأدلة – بأمراض مختلفة أو موته طبيعية غير الحـرق بأفران الغاز .

وأيضًا تحت مظلة الرخ الأمريكى والحرية العرجاء لم تتحرك الإدارة الأمريكية لحماية الـسيد المـسيح حينمـا قامـت الـسينما الأمريكية بعرض فيلم (الغواية الأخيرة للمسيح) وهو فيلم يصور السيد المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فى مـشاهد جنـسية فاضحة مع مريم المجدلية ، صورتها اللغة السينمائية للفـيلم علـى أنها مشاهد تراءت للسيد المسيح على الصليب .

والعجيب أنه لم يفزع أصحاب القرار فى أمريكا . ولم يقاضى المؤلف أو كاتب السيناريو أو المخرج ، ولا زال الفيلم يعرض فى أمريكا وأوربا دون أن يعترض أحد .

فى الوقت الذى قامت الصهيونية العالمية بحملة ضد الفنـان (ميل جيبسون) لذى أنتج وأخرج فـيلم (آلام المـسيح) لأنـه تعرض لليهود ولمؤامراتهم ضد السيد المسيح واعتبروا ذلك معاداة للسامية .

والإساءة للسيد المسيح هى أيضًا إساءة للمسلمين ، لأن المسيح ضمن المقدسات الإسلامية .

وأيضا من المفارقات التى تنطوى عليها الحرية فى الغرب مشهد المحاكمة والحكم على المفكر الفرنسى المسلم (روجيه جارودى) عن تهمة معاداة السامية وذلك عن كتابه [الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية] الذى ناقش فيه محاكمة (نورمبرج) والذى أثبت بالقرائن أيضا دور الأساطير التى نسجتها أخيلة الصهيونية العالمية حول (أفران الغاز) وأنها كانت ولا زالت وسيلة لابتزاز دول الغرب فحكمت المحكمة الفرنسية – فى بلد النور والحرية – بالسجن والغرامة على هذا المفكر الذى لم يدع أمرًا إلا هو مشفوعًا بالأدلة والبراهين .

ومن الدلائل التى تشير إلى الحرية العرجاء :

القانون الهمايونى الذى أصدره الرئيس الأمريكى فى أكتوبر ٢٠٠٤ م لتتبع وضرب كل من يدخل تحت معاداة السامية . هذا القانون الذى يفرض جناحيه ووصايته وشوكته على العالم أجمع . وهذا القانون يربط بين معاداة السامية ، وبين أى موقف مناهض لجرائر وجرائم وسياسة إسرائيل والصهيونية .

ولم يكف القانون ملاحقات منظمة " ميمرى " ومقرها واشنطن ، وكذا عصابة ADL . وإنما أدخل الحكومة الأمريكية طرفًا فى هذه

الملاحقات هذا القانون الذى وقف وراءه (توم لانتسون) اليهودى الأمريكى المعروف بعدائه للعرب .

وقد طرد تحت الحماية المريكية أحد الأعضاء من مجلس النواب الألمانى بتهمة معاداة السامية .

ولم تقتصر تهمة معاداة السامية على الوقائع التاريخية التى لا خيار لأحد فيها . بل امتدت إلى مجال الأدب لتطال الأديب الألمانى (مارتين فاسلر) على روايته [موت ناقد] حيث قامت ضده حملة منظمة مشفوعة بأوصاف النازية والعنصرية لأنه تجرأ ومس فى روايته الذات العلية الصهيونية .

وتقول الكاتبة البريطانية الشهيرة (كارين أرمسترونج) فى الكتاب الذى أصدرته تحت عنوان [محمد] : إن السبب الحقيقى للحقد والكراهية والعنف الذى يسود الساحة الدولية يعود إلى الهيمنة الغربية على الشعوب والأفراد .

إن تلك الأحقاد ترجع أساسًا إلى المفاهيم المغلوطة التى تروجها العناصر المغرضة التى تستهدف تعميق الفرقة وإحداث القطيعة بين الإسلام والغرب . وأبرز مثال على ذلك هو هذا الترحيب المبالغ فيه بالكتاب الذى ألفَّه سلمان رشدى تحت عنوان [آيات شيطانية] دون مراعاة لمشاعر المسلمين ، والنظر إلى البلاد الإسلامية على أنها ديار جهالة وتخلف مما يخالف ما يدعيه

الغربيون من عقلانية وتسامح فكرى .

وتشير الكاتبة إلى ما تعرض له النبى محمد ﷺ من ازدراء وسخرية فى الإعلام الغربى وهو الرجل البسيط المرهف الحس ، الذى أقام مجتمع الكفاية والعدل فى جزيرة العرب تحقيقًا للمشيئة الإلهية . وهو الذى خاض معارك إيجابية ليضع حدًا للظلم ويدفع العدوان .

وقالت : إن الإسلام هو دين السلم والتسامح . ونفت عن الرسول اتهامات الغرب له بأنه رجل شهوانى . وقالت : إنه الرجل الذى ولد يتيما ، وعاش كسائر البشر إنسانًا بسيطًا أخلص لرسالته وآمن بها ، ثم غادر الحياة فى هدوء بعد أن حقق إعجازًا بشريًا غير مسبوق .

فلم يمت فى مقعد الملك وأُبَّهة الأباطرة ، وظل بعد وفاته يعيش فى الوجدان الإنسانى بما جاء به من تعاليم سماوية أرست قواعد السلام ، والوفاق ، والعدل الإنسانى ، وحققت الخير للبشرية .

وأيضا فإن الحرية فى الغرب حرية غير مسئولة ، ولا مضبوطة بضوابط فهى إلى الانفلات أقرب . ولهذا فإن نتائج هذا النوع من الحرية وخيمة العواقب على أصحابها .

ولا شك أن الغرب قد خطا نحو الحرية خطوات نشكره عليها ،

ونحتاج نحْن إلى بعض من تلك الحريات فى مجتمعاتنـــا كالحريـــة السياسية والفكرية ، لكن للأسف قد بالغ الغرب فى استعمال هـــذه الحرية فتعدى الحدود ، وهدم الضوابط حتى أوشكت أن تكون وبالاً على أصحابها وقديمًا قالوا : أنت حر مالم تضر .

❁ ❁ ❁

الإسلام وتقديس الحرية

قبل أن نوضح للقارئ نصوص الكتاب والتطبيقات العملية لمبدأ الحرية فى الإسلام نذكر **شهادة أحد الغربيين وهو الانجليزى (ستيفن ونستمان)** التى ذكرها فى كتابه [تاريخ الحروب الصليبية] يقول : (لقد كان نتيجة الفتح العربى أن بقيت أوضاع كنائس الشرق ثابتة باستمرار حيث هى . فخلافًا لما حاولته الامبراطورية المسيحية من فرض الوحدة الدينية بالقوة على جميع مواطنيها فإن العرب كانوا مهيئين لقبول أقليات دينية طالما كانوا أهل كتاب ، وبهذا أصبح المسيحيون واليهود والمجوس من أهل الذمة الذين يتمتعون بحماية الدولة التى تضمن لهم حرية العبادة على أن يدفعوا الجزية التى ما لبثت أن تحولت إلى ضريبة بدل الاعفاء من الخدمة العسكرية .

ولقد عوملت كل طائفة من الطوائف الدينية كجماعة تتمتع بحكم ذاتى جزئى داخل الدولة ، وكان لكل منها الحق فى أن تحتفظ بأماكن العبادة) .

ويقول الانجليزى برنارد ولويس : (ويزعم أحيانا – خطأ – أن الدين الإسلامى قد فرض بالقوة . إن هذا القول غير صحيح ولو أن عمليات الفتح قد ساهمت إلى حد كبير فى امتداد الإسلام) .

❐ **ويقول مارسيل بوازار** فى كتابه [الجوانب الإنسانية فـى الإسلام] لم يكن محمدًا حاكمًا مستبدًا لأن الله كان هـو المـصدر الوحيد للسلطة سواء بالنسبة لرئيس الجماعة أو لأعضائها ، وقـد استطاع اليهود الحفاظ على دينهم والاستفادة من حقوق فردية تعادل حقوق المسلمين . (١)

❐ **وفولتير فى قاموسه الفلسفى :** (يقرر أن المسلمين لـم يجبروا أحدًا من الأجانب على الدخول فى الإسلام ، ولقد أعطـوا الشعوب التى خضعت لهم حرية الاختيار ما بين أن يكونوا مسلمين أو أن يدفعوا الجزية - ضريبة مقابل الدفاع عنهم - وعندما فقـدوا حيازتهم بعد ذلك لأقاليم فى آسيا فإنهم جعلوا من قاهريهم مهتـدين جدًا إلى الإسلام وصار الفوضويون التتار شعبًا مـسلمًا كبيـرًا . ومن هنا يظهر الواقع أنهم حولوا إلى الإسلام شعوبًا أكثر فى البلاد التى لم تخضع لهم .

والقليل الذى أريد أن أقوله - والكلام لفولتير - إنمـا يكـذِّب تمامًا كل ما يقوله لنا مؤرخونا وخطباؤنا وأحكامنا المسبقة ، ولكن الحقيقة لابد أن تقال وأن تصفعهم) . (٢)

☟☟ **والمتشبون بأزيال حرية عرجاء** قد يقولون : دعـوا الناس وما يعتقدون واتركوهم وما يرون .

---

(١) ص ٧٧ من كتاب الإسلام فى الفكر الأوربى .

(٢) ص ٩١ من نفس المصدر .

🕮 **ونقول** : لبر الناس مايشاءون ، ولكن ليس من حق العميان أن يخلعوا عينى المبصر ، أو يضيقوا عليه لأنه يرى مالا يرون . فليدعوه يمشى بهدى بصره وليدعوه كذلك يصف مايرى فى طريقه . فمن تبعه من غير استكراه فلينطلق معه ، وإلا فليدعه . وهذا مايبغيه الإسلام .

إن إحقاق الحق وإبطال الباطل هو من خصائص الإسلام الكبرى ، وهو الذى أزعج أعداءه وجعلهم يكيلون له التهم ويصوبون نحوه الافتراءات ، فإذا رفض الإسلام المهادنة فهو مهاجم ، وإذا أبى أن يموت أمام كيد الخصوم فهو ينتشر بالإكراه . وذاك سر الخرافة التى راجت فى أوربا أن الإسلام ساد بالسيف .

والإسلام إنما امتشق الحسام لينجو به من غوائل الرعاع والقطاع ، ولو تُرك من غير ترويع ما أثقل عاتقه برمح ، ولاكتفى من السنان باللسان . نعم إنه كان فى هذا السبيل حازمًا .

وهل ينتظر منه إلا ذلك فى ملاقاة خصوم يجرون وراءهم كبرياء القرون الطوال وتعصبها ، وضلالات تحتمى وراء غابات متشابكة من الرجال والسلاح . إنه لولا هذه الصرامة ما بقيت أصوله العلمية والنفسية سليمة إلى اليوم كما يقول الشيخ الغزالى .

فإن الديانات التى ضعفت قبله أفلح أعداؤها فى جرها عن أصولها جرًا شنيعًا ، فلم تعد إلى قواعدها سالمة . بخلاف الإسلام

فإنك واجده فى كتابه إن لم يكن فى أصحابه .

من هذا نعلم أن الإسلام يضع الحرية فى أولويات مبادئه ، وأنه لا يكره أحدًا على شئ غير مقتنع به ، لكن الحرية فى الإسلام لها قواعد وأصول حيث لابد من احترام خصوصيات الآخرين . كما قال الله : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ الأنعام : ١٠٨ . وقال : لكم دينكم ولى دين .

* * *

أسباب تشويه صورة الإسلام

- أقسام الناس فى الغرب .
- الأسباب الخارجية .
- الأسباب الداخلية .



أسباب تشويه صورة الإسلام فى الغرب

إن الناظر لأحوال المجتمعات الغربية يدرك أن هذا المجتمع يمكن أن يصنف إلى ثلاث فئات بالنسبة للموقف من الإسلام ونبيه :

(الفئة الأولى) : لا تعلم عن الإسلام شيئا وهؤلاء لا يمكن الحكم عليهم إيجابًا أو سلبًا خاصة وبعض علماء الإسلام قد حكم بأن هذه الطائفة تعتبر أهل فترة . وأن أعباء عدم المعرفة إنما يقع على عاتق أمة الإسلام خاصة أولى الأمر من الحكام والعلماء .

(الفئة الثانية) : وهم الأغلب وهؤلاء قد وصلت إليهم **الصورة عن الإسلام مغلوطة وشائهة حيث انطبعت لديهم صورة خاطئة عن محمد ﷺ . فهو فى نظرهم إرهابى ثورى دموى قاد مجموعة مسلحة كانوا يغيرون على مجاوريهم ولا يحركهم سوى** الرغبة فى الغنائم .

ثم هى دعى كذاب اغتنم سذاجة أتباعه وادعى أنه رسول ، وكان شهوانى – حاشاه – لا يهمه سوى لذائذه الخاصة . وأما المسلمون من بعده فقد ساروا على دربه فى هذا الشأن فهم يتوسعون شرقًا وغربًا طلبًا للمال وحبًا فى الانتقام .

(والفئة الثالثة) : وهم الأقلون عددًا فهم الذين يعرفون عن الإسلام الكثير بل قد يعلمون عنه مالا يتوفر لأهله . وهؤلاء

بدورهم قد انقسموا إلى قسمين :

** قسم صرَّح بحقائق الإسلام الكبرى وبث ذلك فى كتبه ومدارساته ومجالسه . وقد سبق ذكر بعض أقوالهم .

وهذا القسم إما أن تتجه به حقائق الإسلام فيعتنقه ويصير جندًا من جنوده ، وإما يظل على ديانته الأولى إما لإلفه لها وإما لضغوط اجتماعية أو اقتصادية أو أسرية . . . الخ .

** **أما القسم الثانى** فهم الذين عرفوا الحقائق وتبين لهم الرشد فى حقائق الإسلام ، والغى فى أباطيل خطومة واستيقنت أنفسهم بأن الإسلام دين الله الحق . ومع ذلك جحدوا وغيروا وبدلوا وحاولوا إظهاره فى صورة شائهة لا تمت إلى أصوله وفروعه من قريب أو بعيد . وأغلب هؤلاء من رجال الدين والساسة والمتعصبين من المستشرقين ، واليهود الحاقدين .

ومن المعلوم أن من وصلتهم صورة مغلوطة عن الإسلام ونبى الإسلام هم الأكثر عددًا على جميع المستويات حكامًا ومحكومين .

فالصورة الحقيقية للإسلام غائبة عن جمهور الغرب ولا يظهر منها سوى المغلوط الذى لا يمت إلى الإسلام بصلة .

والأسباب الحقيقية لإبراز تلك الصورة الشائهة تكمن فيما يلى :

الأسباب الخارجية :

❐ ❐ أولاً : المستشرقون :

إن واقع حركة الاستشراق من حيث المنظور التاريخى كما وصفها إدوارد سعيد أسلوب غربى للسيطرة على الشرق وامتلاك السيادة عليه . لكن على الرغم من صدق هذه الرؤية فى معظمها إلا أن البحث العلمى يحتم علينا ألا نضع الجميع فى سلة واحدة . ففى المستشرقين رجال أصحاب توجهات علمية بحتة ، ونحن لا ننكر ذلك لكن الغالب على الفكر الاستشراقى التوجهات التبشيرية والاستعمارية .وهذا بدوره سوف يؤدى إلى تشويه صورة الآخر وإبرازه فى قالب همجى . الأمر الذى يتحتم معه الاستيلاء عليه لتمدينه وتثقيفه . . هكذا زعموا .

وقبل أن ينطق علماء الإسلام بهذه الحقيقة والتى مفادها أن المستشرقين من أوائل من حاولوا تشويه صورة الإسلام ونبيه أقرَّ بها المنصفون من علماء الغرب .

يقول فولتير : لقد ألصقنا بالقرآن ما لا نهاية له من السفاهات التى لم تكن به على الإطلاق ، إن مؤلفينا لم يجدوا صعوبة تذكر فى جعل نسائنا تقف فى صفهم ، لقد أقنعوهن بأن محمدًا لم يعتبرهن الحيوانات العاقلة ، وأنهن جميعا إماء وفق شريعة القرآن .

ثم يقول فولتير : أيها لجهلة الأغبياء الـذين خـدعهم جهلـة آخرون إذ أقنعوكم بأن الديانة المحمدية ديانة شهوانية ولذات جسدية بينما هى ليست شيئا من ذلك .

لقد ألحقت بالإسلام صورة مشوهة كثيـرة لا تـزال آثارهـا منطبعة بعمق فى العقلية الأوربية إلى اليوم ، ويجب الاعتراف بأن الدراسات الاستشراقية فى الغرب لم تكن مستوحاة أبدًا مـن روح النزاهة العلمية الخالصة ، ولا يمكن إنكار أن بعض المتخصـصين فى الدراسات الإسلامية والعربية قد قاموا بأبحاثهم بهدف واحد هو تحقير الإسلام والمسلمين .

وهذا دليل واضح على أن الدراسات الاستشراقية فى معظمها كانت تقوم بدور مشبوه لتشويه صورة الإسلام ونبى الإسلام تحـت غطاء البحث العلمى النزيه .

ولئن كان قلة قليلة من المستشرقين كـانوا يحـاولون إبـراز صورة الإسلام الصحيحة لكن جهودهم كانت تذهب سدى أمام هـذا السيل الجارف .

❑ ❑ ثانيًا : العنصرية الغربية :

إن من أسباب معاداة الغرب للإسلام هو : أن الشرق يعتبـر مجرد امتداد طبيعى للغرب ، وتابعًا له ومسرحًا لسيطرته ، وظـل هذا الفهم قائمًا حتى الآن من حيث أن الشرق الإسلامى والعربـى

هو المنطقة الوحيدة التى كانت تمثل تحديًا سافرًا للغرب سواء فـــى المجالات السياسية أو الثقافية بل أيضا فى المجال الاقتصادى .

ويضاف إلى ذلك أن الإسلام قد أفلح فى أن يـــزيح ســـلطان روما نفسها ويزلزله ، بل إن الإسلام استطاع فى أقل من قـــرن أن يقلم أظفار الغرب ويزيحهم عن المنطقة العربية كلها ، وهو أمر لا يمكن للغربى أن ينساه مما يحرك كثيـــرًا مـــن الآلام فـــى نفـــوس الغربيين . ولهذا رأينا منذ فجر التاريخ الإســـلامى وحتـــى عهـــد الحرب على الإرهاب موجات من العدوان على الإسلام وأهله لـــم تهدأ هذه الموجات إلا فترات قليلة كان يتغلب فيها جانـــب التعقـــل تارة أو جانب التهيؤ والاستعداد تارة أخرى .

ويقول روجيه دى باسكييه : إن الغرب المسيحى أو الذى فقد مسيحيته لم يعرف الإسلام أبدًا فمنذ أن ظهر على المسرح العالمى والمسيحيون لا يكفون عن اختلاق الأكاذيب حوله وتحقيره من أجل إيجاد المبررات اللازمة لقتاله .

يقول مونتجمرى وات : لقد أدرك الناس من زمن أن الكتـــاب المسيحيين فى العصور الوسطى خلقوا صورة للإسلام هى صورة شائهة من وجوه عديدة .

❑ ❑ ثالثًا : الصهيونية :

من أهم أسباب استمرار العداء الغربى للإسلام ومن عوامـــل

تشويه صورة الإسلام فى الغـرب : المكـر اليهـودى والأفعـى الصهيونية الذين ركبوا موجة العداء وتحالفوا مع الأقوياء كعـادتهم فرأيناهم يكونون مع الأصولية المسيخية جبهة واحدة لتشويه صورة الإسلام لتزهيد الناس فى الدخول فيه من ناحية ثم لزعزعة أتباعـه من ناحية أخرى ، ثم لاستعداء العالم عليه من ناحية ثالثة .

وقد استغل الصهاينة فى سبيل التشويه الآلة الإعلامية الجبارة التى وصلت إلى كل بيت وبكل لسان . ولا يخفى علـى أحـد أن المؤسسات الإعلامية على مستوى العالم الغربى مملوكة فعـلاً أو فكرًا لليهود الصهاينة أو من لهم انتماءات صهيونية .

وقد اشتد سعار هذه الهجمة الشرسة على الإسلام ورسوله بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر . حيث استغل الإعلام الـصهيونى هذه الحادثة لإلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين يغذيه فـى ذلك الآلة العسكرية الهوجاء لأمريكا ، وحقد بعض الغـرب علـى الإسلام والمسلمين وسذاجة وبلاهة بعض المنتمين للتيار الإسلامى المتشدد لنجد فى النهاية نجاحًا صهيونيًا فى تشويه صورة الإسـلام وزيادة استعداء الغرب لهذا الدين ونبيه .

❐ ❐ رابعًا : رجال الكنيسة المتعصبون :

ولا يخفى على أحد أن آباء الكنائس قاموا بـدور مـشبوه لتـشويه صورة الإسلام ورسوله وذلك منذ أن بدأ الغرب يتعرف على دين الإسلام

فقد قام رجال الكنيسة وحتى يزهدوا الناس فى الدين الجديد حتى يوقفوا انتشاره بكل الوسائل حتى لو أدى بهم الأمر إلى وصم رسول الله بصفات هى أبعد ماتكون عن شخصية هذا النبى .

فقد وصم آباء الكنائس الرسول ﷺ بأنه إما شيطان متمرد على الكنيسة ، وإما شهوانى كرَّس كل حياته لإشباع رغباته ، وإما زعيم عصابة كل هدفها السطو على أموال الأغنياء . وهكذا فقد أفلح هؤلاء فى أن يؤلبوا الساسة والعسكر ويحشدوا قواهم تحت مايسمى بالحروب الصليبية والتى تولى كبر هذه الحروب آباء الكنائس ورجال الدين المسيحى فى الغرب . مع ملاحظة أن فرقًا كبيرًا بين نظرة نصارى الشرق للإسلام الذين كنا نسمع كثيرا منهم من رحبوا بالمسلمين (أبناء إسماعيل) الذين استنقذوهم من حكم الرومان الظالم . فرق كبير بين هؤلاء وبين نصارى الغرب ورجال الكنيسة الغربية الذين لم يألوا جهدًا فى تشويه الصورة الحقيقية للإسلام ورسوله .

❐ ❐ خامسًا : الإعلام الغربى :

قام الإعلام الغربى بدور جبار فى تشويه صورة الإسلام والمسلمين تدعمه فى ذلك اليد الصهيونية ، والأصولية المسيحية التى يهمها تشويه صورة الإسلام والمسلمين بعدما رأوا ذلك المد الإسلامى المتنامى فى شتى أرجاء المعمورة . فقام الإعلام الغربى

بهذا الدور تحت دعوى الحرية الفكرية ، وبمساعدة هـذا اللوبى الصهيونى المنظم فى جميع أنحاء أوربا دون ترك مساحة للفكر المستنير للرد على هذه الافتراءات .

وقد ساعد الإعلام فى دوره التشويهى مناهج التعليم فى كثير من دول الغرب حيث تصف الإسلام بأنه دين إرهابى يدعو إلى الإرهاب وقتل الآخرين لمجرد أنه مخالف فى الدين .

الأسباب الداخلية :

❑ ❑ سادسًا : تخلف المسلمين :

إن المتتبع لأحوال أمه الإسلام يجد أنها أوشكت على أن تنزوى عن طريق الحياة ، كما تنزوى العربات العاطلة على جانب الطريق ، تنظر إلى السائرين المنطلقين وهى واقفة فى مكانها ، لعطل آلاتها ، أو لنفاذ وقودها ، أو لعدم وجود قائد . . .

كل ذلك كان نتيجة طبيعية لمقدمات وعلل أفسدت تصورها للحياة وأرعشت خطاها على صعيدها . واكتفت بالانتماء ظاهرًا إلى إسلام مشوه لا نصيب له فى تسيير حركة مجتمع ، أو قيادة أمة .

ولقد قامت بالإسلام الحق دولة يانعة الحضارة ، واسعة السلطة ، عظيمة الهيبة ، ظلت فى المجال العالمى الدولة الأولى بين أترابها قرابة ألف عام . وظلت هذه الأمة عزيزة الجانب لا يقوى أحد على مطاولتها .

ولم يكن هذا السبق العالمى لدولة الإسلام غرور جـــنس ، أو ادعاء ملوك ورؤساء . بل كانت أحوال المسلمين العلمية والخلقيـــة والمدنية والعسكرية والسياسية ترجح كفتهم فى كل موازنة ، وتعلى راتبهم فى كل سباق .

كما لم يكن هذا الرجحان وليد حضارة قديمة انتفع الإسلام بها أو نتيجة ارتقاء محلى مشى الإسلام على قمته .

فالإسلام جاء والعرب يومئذٍ أهون أناس فى الدنيا ، فمـــا زال يربيهم من جاهلية وينظمهم من فوضى حتى أحالهم خلقًا جديدًا لـــم يكن له فى أرضهم ولا تاريخهم نظير . وما أصدق قول الشاعر :

أتيت والناس فوضى لا تلم بهم ∴ إلا على صنم قد هام فى صنم

أخوك عيسى دعا ميتا فقام له ∴ وأنت أحييت أجيالاً من الرحم

الأرض مملوءة جورًا مسخرة ∴ لكل طاغية فى الخلق محتكم

أسباب التخلف :

إن تخلف الأمة الإسلامية الحضارى لا ريب فيه ، ومظـــاهر التقدم المجلوب من هنا ومن هنا عارية قـــد تـــسترد . ولكـــن مـــا الأسباب التى أدت إلى هذا التقهقر . وليس يخفـــى علـــى أحـــد أن المسلمين يحتلون الآن ذيل القائمة بجدارة .

إن التقدم والتأخر ليسا حظوظًا عمياء ، إن مانزل بنـــا هـــو

نتائج لمقدمات طال عليها الأمد ، وعلل هدت قوانا جيلاً بعد جيل .
وبعض الأجسام يصيبها فى سن مبكرة مرض شديد . ولكن عافية الشباب تهزمه . فتكمن الجرثومة متربصة الفرص السوانح لتثبت عندما تريد ملحقة بالجسم ما تشاء من عطب .

وأمتنا الكبيرة تعرضت لأدواء وبيلة خلال عصورها الخوالى.

وما أصدق قول شوقى :

أدعوك عن قومى الضعاف لأزمة ∴ فى مثلها يلقى عليك رجاء

أدرى رسول الله أن نفوسهم ∴ ركبت هواها والقلوب هواء

متفككون فما تضم نفوسهم ∴ ثقة ولا جمع القلوب صفاء

رقدوا وغرهم نعيم باطل ∴ ونعيم قوم فى الغيوم بلاء

ولا أظن أن أحدًا يمكنه أن يجادل فى وصف حالة الأمة بأنها مأساوية ، وبأنها تعيش أزمات خانقة ، تعانى من الوهن والهوان والذلة والانكسار .

لايعبأ بها عدو ، ولا يعتمد عليها صديق ، هيكل هلامى يجيد صناعة الكلام والصراخ والشجب والاستنكار . يملؤها الرعب والخوف من البطش فيلتمس النجدة ممن هو مصمم على التهامه .

كيان مخدر لا يشعر بالخطر ولا يجرؤ على مواجهته حتى ولو وصل الامتهان إلى رمز عزه وشرفه ومخرجه من الظلمات إلى النور وهو الرسول محمد ﷺ . فلا تجد الأمة سوى أن تخفى

رؤسها فى الرمال كالنعام ، وتخضع لما يملى عليها من قوى الظلم والعدوان ، وتسلم سلاحها لقاتلها وتمد لها رقبتها ليسهل على القاتل حزّها بلا مقاومة .

مالى وللــنجم يرعــانى وأرعــاه ∴ أمسى كلانا يخاف الغمض عيناه

لى فيك ياليل آهــات أرددهــا ∴ أوّاه لو أجدت المحزون أوّاه

أنّى اتجهت إلى الإسلام فى بلد ∴ تجده كالطير مقصوصًا جناحاه

كم صرفتنا أياد كنا نــصرفها ∴ وبات يملكنا شــعب ملكنــاه

لكن دوام الحال من المحال فأمة محمد مع كل ذلك لا تمــوت بالسكتة القلبية أبدًا ، وما جعلها الله خير أمة إلا لإمكان بقائها إلــى أبد الآبدين .

ومع ذلك أحس أن المستقبل للإسلام ، وأدرك أن قوى الــشر وإن كان نقيقها يملأ أكناف الأرض فهى كالضفادع الصغيرة التافهة المغروسة فى الطين التى تموت تحت أى قدم . ومع ذلك فهى تملأ الليل بنقيقها وسوف تختفى حتما .

والله عز وجل قد قرر فى الأزل أن الزبد يذهب جفاءًا ، وأن مبغض الرسول محمد رمز الكمال وكمال الوجود سوف يبتر مــن أصله . وينقطع ذكره فلا يبقى له أثر . فقد قال الله عن حبيبــه ﷺ وعن مبغضه :

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ

ٱلۡأَبۡتَرُ ۝ ﴾ الكوثر : ١ – ٣ .

والسحاب لا يضرها نباح الكلاب .

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝ ﴾ التوبة : ٣٢ .

ولقد قاوم كيانها الصلب هذه الأدواء ، وبدا للعين المجردة كأنه سليم معافى ، ولكن الجراثيم الخانسة برزت من مكامنها خلال القرون الأخيرة ، فلما اصطدمت بنا القوى المعادية للإسلام فضحتنا المعارك فى كل ميدان ، وسقط المسلمون بين المحيطين : الأطلس والهادى ، وبين أواسط أوربا وآسيا شمالاً ، وأندونيسيا والفلبين والمحيط الهندى جنوباً .

إن هذا الكيان الإسلامى تهاوى تحت ضربات المغيرين ، وأصبح بين عشية وضحاها أسيرًا تدميه القيود ، ويرهقه الأذلال ، وكان لابد وأن يحدث هذا لأن المسلمين فقدوا أسباب التمكين فى الأرض فعصفت بهم الرياح الهوج . وهذا الوضع المتردى كان نتيجة عدة عوامل هى :

❁ ❁ ❁

الفساد الأخلاقى والفكرى

إن المتأمل فى أحوال الأمة الإسلامية يدرك الفرق الشاسع بين مبادئ هذا الدين العظيم ، وبين الممارسات السلوكية لكثير من أفراد هذه الأمة .

ولا يعنى أن الغرب غارق إلى شحمه إذنيه فى أوحال الرذيلة أنه لا يتوقف عند هذه المفارقة العجيبة ، فالدين الذى يدعو أتباعه إلى العفة إلى درجة تحريم النظر إلى الأجنبية ، وأن النظرة سهم من سهام إبليس إذا بالفضائيات الإعلامية تخرج علينا بما يندى له الجبين ، بل إن هناك فضائيات متخصصة فى نشر الإباحية والعرى كل ذلك باسم الفن ، وقد صدق القائل :

ما كان فى ماضى الزمان محرمًا ∴ للناس فى هذا الزمان مباح

صاغوا نعوت فضائل لعيوبهم ∴ فتهذر التمييز والإصلاح

فالرقص فن ، والخداع سياسة ∴ وغنى اللصوص براعة ونجاح

والعرى ظرف ، والفساد تمدن ∴ والكذب لطف ، والرياء صلاح

ولا شك أن ذلك يساعد كثيرا على تشويه صورة الإسلام فى الداخل والخارج .

وأيضا فإن كثيرًا ممن يحسبون على الدين وأكثرهم من الشباب الذى لا دراية له بفقه الأولويات عنده . ثم تجده لا يتورع

عن الافتاء فى مسائل لو عرضت على الأمام الشافعى لأصفر وجهه قبل الإجابة عليها . ثم تجدهم يركزون اهتمامهم على المظاهر والقشور ولا يعبأون بالقيم العظيمة . فاللحية ، والجلباب والسواك ، يأخذ حيزًا كبيرًا من اهتمامهم . لكن قيمة العدل ، والعلم ، والمعرفة ، والتسامح مع الآخر كل ذلك لا يعبأون به . وكأن الإسلام لا عمل له فى التاريخ سوى الانتصار على البدلة الأفرنجية لصالح الجلباب القصير .

إن الإسلام دين عظيم لو أحسن المسلمون فهمه ، وأتقنوا عرضه ، وأجادوا الدفاع عنه .

إذًا لكى نُحسِّن صورة الإسلام فى الخارج أن نبدأ بتحسين صورته فى الداخل ، وأن تكون سلوكياتنا متمشية مع مبادئه ، ثم ليكن عندنا رصيد من فقه الواقع حتى لا يتصادم هذا الدين العظيم مع الواقع المعاش حتى لا يوصم المسلمون بالإرهاب ، ونعطى فرصة للآخر ليستجلب العالم علينا .

* * *

الفساد السياسى

إن من أهم أسباب تشويه صورة الإسلام هــو هــذا الإيــدز السياسى الذى أصاب الأمة . فلئن أصاب الغرب الفــساد الجنــسى والتحلل الأخلاقى فما ذاك بانكى من الفساد السياسى فــى عالمنــا الإسلامى فهناك الحكام الذين صنعهم الاستعمار على عينه ولنفــسه لا يهمهم سوى أمران :

أولاهما : كيف يبلغ رسالة أولى نعمته وأرباب فضله .

ثانيهما : كيف يحافظ على كرسى حكمه حتى ولو أفنى أمتــه وباع ارضه وعرضه .

وهؤلاء الحكام قد صنعوا سدًا منيعًا بينهم وبين جماهير الأمة لأن أهواءهم طامحة ، وشهواتهم جامحة .

وهؤلاء الحكام رغم ظلمهم لرعاياهم وائتمارهم بأوامر من أذاقوا الأمة سوء العذاب إلا أنهم لم يعدموا من يحسبون على الدين والعلمــاء من المشايخ الذين يضعون المباخر فى طريق الحاكم ، ويزينون له عمله حتى يعتقد أنه يحسن صنعًا ، مع أنه قد ضل سعيه فى حكمه .

وهؤلاء الحكام لا تسمع لهم صوتًا ولا تحس منهم من أحد فى المحافل الدولية حتى ولو كان القرار يتصل بأمته وشعبه . ولا تكاد تخلو بلدًا من هذا الفساد حتى ظن العالم أن طبيعة العرب والمسلمين لا تتفق مع الديمقراطية والحرية . وأنهم قد خلقوا هكــذا لا يــصلح لهم إلا الحكم الشمولى .

الفساد الاقتصادى

والأوضاع الاقتصادية فى عالمنا الإسلامى تحتاج إلى النظر الفاحص حيث الترف الزائد عن حد المعقول الذى يصل به الأمر إلى ضرب المثل فى التبذير .

إن المال هو قوام الحياة وسياج المروءة ، وعندما يكون دُولة بين جماعة من الناس فإن النتائج ستكون مدمرة .

والعالم الإسلامى على الرغم من كثرة موارده المتنوعة والغنية ، إلا أنه يتصدر قائمة الدول النامية والفقيرة . وهذه إشكالية تحتاج إلى إعادة نظر فى كيفية الاستغلال ، وفى توزيع الثروات .

فليس من الطبيعى أن نُغْنى المترفين بمالنا ونعيش فى فقر مدقع ، أو نتسول بذلة وضعة من الغرب الذى يعيش على مواردنا وثرواتنا المنهوبة من هذه الأمة المنكوبة . ومما يدعو للأسى والحسرة أن التجارة البينية (الداخلية) بين الدول العربية لا تتعدى ٢ % من نسبة التجارة الكلية .

وفى الوقت الذى أنشئت التكتلات الاقتصادية الكبرى بين الدول الغربية والأمريكية فإن السوق العربية المشتركة والتى نادت بها مصر منذ ربع قرن لم تجد آذانًا صاغية إلى الآن .

❁ ❁ ❁

الفساد الاجتماعى

إن المجتمع المسلم على الرغم من التقارير التى ترفعه إلـــى الذرى طهرًا وعفافًا بالقياس إلى غيره من المجتمعات . إلا أنه لـــم يخلو من مفاسد اجتماعية نتمنى لو خلت منها .

فوضع المرأة لا زالت تحكمه عادات اجتماعية جاهلية متأصلة فيه منذ القدم ، وهى فى حقيقتها لا تمت إلى تعاليم الإســـلام بـــصلة . فالقول بأن المرأة يجب أن تكون قعيدة بيتها لا تخرج منه أبـــدًا إلا إلى زوجها أو قبرها قول لا أصل له .

إن الإسلام ينظر إلى المرأة على أنها كائن بشرى مثل الرجل فإنها منه وهو منها .

والنساء شقائق الرجال ، وكم كانت صورة المرأة فى الشرق أداة يضرب بها الإسلام وأهله ظانين أن هذا هو وضع المرأة فـــى الإسلام وما دروا أن هذا الوضع هو تقليد اجتماعى شائه ، لا يمت إلى تعاليم محمد بسبب والإسلام لا يؤخذ من أصحاب العقد النفسية سواء كانت غيرتهن على النساء عـــن ضـــعف جنـــسى أو شـــبق جنسى .

إن علماء الإسلام عليهم واجب التبيين للناس صورة الإســـلام الحقيقية ووضع المرأة فيه الذى ينظر إليه على أنها نصف المجتمع ، وبدونها يفقد النصف الآخر حيويته بل وجوده .

هذا فقط نموذج لتردى الحالة الاجتماعية فى العالم الإســـلامى والتى ربما كانت سببًا فى ازدراء كثير مـــن الغــربيين للإســـلام والمسلمين .

❋ ❋ ❋

رغم الهوان

فالمستقبل للإسلام



هوان الأمة ومستقبل الإسلام

إذا زرت يـــامولاى قبـــر محمـــد ∴ وقبلت مثوى الأعظم العطــرات

وفاضت من الدمع العيون مهابة ∴ لأحمد بين الستر والحجرات

فقل لرسول الله ياخير مرسل ∴ أبثك ماتدرى من الحـــسرات

شعوبك فى شرق البلاد وغربها ∴ كأصحاب كهف فى عميق ثبات

نزلت ما أكثر الميادين الممهودة أمامنا لو أردنا خدمة إسلامنا وتحسين صورة نبينا محمد عن طريق الدعاية والتثقيــف وتوعيـــة غيرنا بما عندنا من ميراث عقدى وأخلاقى .

والواقع يقول إن المسلمين الآن منهزمون نفسيًا نتيجة تراكمات الماضى وأغلال الحاضر التى كبلنا بها المستعمر قديمًا وحديثًا .

فالمسلمون قد ابتلوا بهزيمة نكراء من قبل الغرب الذى قلـــب لهم شعب الإيمان رأسًا على عقب . وعليهم الآن إذا أرادوا خدمـــة دينهم أن يغلغلوا النظر فى أعماق الغرب وأحوال شعوبه وتـــاريخ وعادات وميول تلك الشعوب حتى يحسن الوصول إلـــى فطرتهـــا وعندئذٍ تصْلها بالصورة الصحيحية للإسلام .

إن اختلاف الألسنة حقيقة كونية وآية إلهية وما دمنـــا حملـــة رسالة عالمية فلا معنى لانحصار هذه الرسالة فى اللسان الذى به .

وإن عشر معشار مايملك العرب والمـــسلمون مـــن أمـــوال وثروات ونفط كان حقيقيًا بأن يسد هذا الخلل ، ولكن فقـــر النيـــات

والمواهب قعد بنا ، ونال منا ، وها نحن أولاء نجنى ثمار تقاعسنا إزدراءً بأشرف الخلق محمد واستهزاءً بتعاليمه وأخشى القول بأن حسابنا عسير قبل هؤلاء .

نشرت جريدة الراية القطرية تحت عنوان : أكبر عالم اقتصادى فى العالم يعتنق الإسلام . قالت : أعلن منذ أيام رجل الاقتصاد البريطانى (أحمد كريستوفر شامونت) أنه دخل فى الإسلام ، وقال : لقد وجدت فى الإسلام ماكنت أبحث عنه ، فأى مشكلة يعانى منها المرء فى حياته سوف يجد حلها فى القرآن الكريم .

ثم يقول أشهر اقتصادى انجليزى : إن الإسلام يخاطب العقل الإنسانى ويضعه على مشارف الطريق الحق ويضمن له سعادته فى الدنيا والآخرة . ويقول : إنى حتى الآن قرأت ست سور من القرآن الكريم وقد شعرت بأن الإسلام يملك أسباب التقدم الحضارى والتفوق العلمى ، ولكن المسلمين متقوقعون يعيشون بعيدًا عن هدى دينهم – نعم والله – وهو ما جعل غيرهم من الشعوب يسبقهم ويرجع عليهم ، ولم يكن المسلمون الأوائل على هذا النحو السئ . لقد كانوا أول سالك لطريق الحضارة والتقدم فى شتى الميادين العلمية والاجتماعية والاقتصادية .

وهذا الخبر ناطق بأن الإسلام يشق مستقبله بقواه الذاتية وخصائصه العقلية ، ونستطيع أن نؤكد أن العقل الأوربى أسرع شئ إلى قبول الإسلام والابتهاج به يوم يعرفه معرفة صحيحة .

إن هذا العقل لا يستسيغ الإلحاد ، لأن الإلحاد مرض نفسى وليس يقظة فكرية كما يقول الشيخ الغزالى رحمه الله .

عن أنس بن مالك ﷺ أن النبى ﷺ قال : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) .

ظاهر هذا الحديث تضافر الجهاد الاقتصادى والعسكرى والإعلامى لمواجهة الكفار بكل أسباب المقاومة ، وعدم إدخار شئ من القوى المادية والمعنوية لإحباط مكايدهم ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ النساء : ٨٤ .

وكما تغيرت وسائل وأدوات القتال تغيرًا بعيد المدى ، كذلك تغيرت وسائل الإعلام وصناعة المشاعر والأفكار ، وأضحت الكلمة والصورة والخبر والتعليق والكتاب والصحيفة والراديو والتلفاز ، بل الأغانى والفكاهات والكاريكاتير أضحى كل ذلك موجهًا ببراعة إلى غايات مرسومة ووفق خطط موضوعة .

وقد نجح خصومنا فى غاراتهم على الأمة الإسلامية واستعانوا بآخر مابلغه العقل الإنسانى من إبداع كى يفتنونا عن ديننا .

ترى ماذا أعددنا للدفاع عن مقدساتنا ؟ والزود عن مواريثنا ؟ وعن رسولنا ورمز كرامتنا ؟

والحقيقة أن الإسلام – مع عظمته وسمو قضاياه – تحس وكأنه دينٌ يتيم مضيم ليس هناك من يحسن عرضه أو يدفع عنه ،

أو يمحو القذى الذى يشوب حقائقه ويشوه ملامحه .

الباحثون عنه يلتقطونه حيث وجدوه لأن أفئدتهم فارغة ، وما يلمحون من صدقه يجتذبهم إليه .

وأبناء هذا الدين وأصحاب هذه الرسالة لا تجد لهم صوتًا ولا تحس منهم من أحد ، ولا تراهم حين يطلبون ، وإذا رأيتهم وجدتهم فرقًا وشيعًا قد امتلأت أذهانهم بموروثات وعادات جعلوها دينًا وأسلامًا ، لا يهمهم من أمر الإسلام إلا الجلباب الأبيض ، والنقاب والحجاب .

وما درى هؤلاء أن المقياس الإسلامى فى تقرير الكرامة العامة للبشر كلهم أيًا كان جنسهم هو ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ الملك : ٢ .

وما كانت رسالة الإسلام فى يوم من الأيام تنافسًا بين الجلابيب الصحراوية والبدل الأفرنجية ، أو بين نقاب هو نتاج بيئة وحجاب يحمل معنى الاحتشام .

إن ألوفًا من الغربيين لو أحسنا عرض الإسلام سيكونون أسرع استجابة وأصدق إيمانًا بعد ما عضتهم الحياة الغربية وأرهقتهم الحضارة المادية .

لكن مما يؤسف له أن الصورة التى ارتسمت فى أذهان بعض الغربيين عن الإسلام وأمته تبعث على الخجل خاصة وأن أصحاب

المتع من أغنيائنا قد ألجموا أفواهنا عن أى اعتذار .

فالمال الإسلامى يراق بسفه غريب على موائد القمار والخمر وأنواع التهتك التى تسبق الخيال .

فالصورة التى يراها الغربيون منا لا تشرف دينا ولا تغرى فيه بنظر ، ولولا أن الحضارة الحديثة تحض على النظر والاستشكاف ماعرف أحد الآن الإسلام على حقيقته ، أو على أجزاء مشرفه من هذه الحقيقة .

والواقع إن من أسلم من رجالات الغرب سبقت لهم الحسنى بما تيسر لهم من بحث واطلاع وجهد خاص ، وهذا نادر مايحدث . ولا طريق لأن يعرف الأجانب الإسلام إلا عن تأمل فى تطبيقنا له أو عن تفهم لحديثنا عنه . فإذا كانت تطبيقاتنا تتضمن أخطاء شنيعة فكيف يفهم هذا الدين ، وكيف نطالب الآخرين بأن يدخلوا فى دين الله أفواجًا .

إن الإسلام دين قوى تكمن قوته فيما يشتمل عليه من حقائق ، معقول لا يأباه فكر سليم ، جميل لا يصيد عنه ذوق لطيف .

ومما يؤسف له أن نفرًا كبيرًا من الداعيين إليه جهال به ، ومعادنهم النفسية والعقلية بالغة الرداءة فهم لا يجوز أن يقفوا فى ميدان الدعوة ، كما لا يجوز أن يدخل الأعرج سباقًا فى سرعة الجرى .

إننا نضع العوائق عمدًا أمام الإسلام حين نفرض على الراغبين فيه تقاليدنا فى الحكم والاقتصاد والأسرة ، وأغلب هذه التقاليد تقاليد عصور الانحراف والتخلف .

وإن مما يدعو للتفاؤل على الرغم من كل الصعوبات والعقبات التى تعترض طريق الإسلام إلا أنه الدين الذى يكثر أتباعه فى الغرب يومًا بعد يوم . حتى أنه وبعد تلك الرسوم التى نشرت فى الغرب عن الرسول دخل كثير من الغرب فيه وتعرفوا عليه ، فتحولت المحنة إلى منحة والبلية إلى عطية ، وكم كان الشيخ النورسى صادقًا حين قال : إن أوربا حُبلى بالإسلام وسوف تلده يومًا ما .

❋ ❋ ❋

الخاتمة

وبعد استعراض هذا الكتاب يتحتم ذكر بعض الحقائق .

أولاً : إن هذه الرسوم التى نشرتها الصحف الأوربية عن أطهر شخصية عرفها التاريخ ما يكون لها أن تطال رسول الله ﷺ لسبب واحد . أن هذه الأفكار والرسومات والشتائم إنما خرجت من أدمغة غارقة فى الأوحال . ومقام النبى الآن هناك فى مقعد صدق عند مليك مقتدر . وفرق بين عالم الأوحال وعالم الفردوس الأعلى .

ثانيًا : إننا نقول لقادة الغرب ومفكريه أجمعوا أمركم وشركاءكمُ ثم لا يكن أمركم عليكم غمة . ثم قولوا ما شئتم فى رسول الله فلن يطاله أذى منكم ولا من غيركم . لأن الأرض أشرقت بنور ربها ، وأظهر الله محمدًا ودينه على الدين كله على كره من الحاقدين ورغم أنف المعاندين .

فقد شهد له ﷺ بسمو أخلاقه رب الأرض والسماء وأقر بعلو فضائله المرسلون والأنبياء ، واعترف بدينه الإنس والجن حتى الحيوانات العجماء . فصياح الخصماء على سيد الأنبياء هو نباح الكلاب فى الليلة القمراء .

ثالثًا : إن أى استهزاء أو سب لرسول الله ﷺ - وإن كان لا يطاله - هو صفعة على أقفية الذين يدَّعون الانتساب إليه ، ذلك أن الرسول الكريم هو تاج عزنا ، وهو محور حياتنا ، وهو نبض

قلوبنا ، وهو الدماء الجارية فى عروقنا ، هو شرفنا الذى بدونه لا شرف لنا ، وهو الذى بشرعه أحيانا ، والذى به توحدنا . فهـو إذًا محور كل مسلم وهو نقطة الدائرة لكل المجتمعات المسلمة . لهـذا فإن أى مساس بسيرته ، وأى محاولة للتنقيص من مقامه السـامق العالى هو محاولة لنسف كل ذلك .

رابعًا : إن عمل كل ما من شأنه وقف هذه المساخر إنما هـو واجب دينى ووطنى وأخلاقى . بدءًا بإنكار المنكر قلبًا وقولاً وعملاً لكن كل ذلك شريطة أن تكون هذه الأعمال وفق المنهج النبوى كما لو كان رسول الله موجودًا بيننا الآن .

فأن أعلن استنكارى فهذا مشروع ، أن أكـره مـن يحـاول الإساءة لرسول الله فهذا واجب ، أن أقاطع المستهزئ برسـول الله فهذا واجب ، أن أقاطعه سياسيا فهذا مـشروع . لكـن أن أحـرق السيارات ، وأن أدمر البنايات ، وأن تزهـق الأرواح فهـذا مـالا يرضى عنه رسول الله ﷺ .

خامسًا : على الحكومات وولاة الأمور فى دول الإسـلام أن يقفوا صفًا واحدًا لوقف هذه الهجمات المنظمة بعدما تبين أن الأمر لم يقف عند صحيفة بل إن الأمر قد بات وكأنه قد خطـط لـه وأن النخبة الحاكمة إذا لم تتحرك لوقف هذه البذاءات ضد رسولهم فـإن البون سيتسع بينهم وبين شعوبهم التى أظهرت الأحداث أن رسـول

الله أغلى عندهم من أنفسهم التى بين جنوبهم .

سادسًا : على النخبة المثقفة فى العالم الإسلامى والمفكـرين والعلماء واجب دينى إزاء السيد العظيم محمد ﷺ . وذلـك بتـذكير الغرب أن الحوار الحضارى الذى يدعى الغـرب مواصـلته مـع الشرق الإسلامى أكذوبة طالما لم يتعدى حدود الكـلام النظـرى . وطالما أن أصحاب القرار فى الغرب يسيرون نحو أسلمة الإرهاب ثم الصدام المسلح باحتلال الدول الإسلامية بلدًا بعد آخر .

سابعًا : لا يكن جهدنا ضعيف ونفسنا قصير فى التعامل مـع هذه القضية بالذات . فقد عرف عن المسلمين أنهم ينفعلـون مـع الحدث أولاً ، ثم تخبو الجذوة وينعدم الحماس ولا يخرجون بنتيجـة اللهم إلا سخرية الآخرين حتى قالوا عنهم إن العـرب والمـسلمين ظاهرة صوتية .

ومن هنا وجب على المسلمين ألا تهدأ المظـاهرات الـسلمية الاحتجاجات المنظمة ، والمقاطعات الاقتصادية والـسياسية حتـى يقف هؤلاء الغربيين عن سفالاتهم ، وحتى نأخـذ حقنـا وتـسترد كرامتنا ، ونستعيد هيبتنا ، ويعلم الغرب أن محمدًا ﷺ قـد خلـف رجالاً يفدونه بأموالهم وأنفسهم .

ثامنًا : إن رجال المال والإعلام فى الدول الإسلامية يجب أن يكونوا على مستوى المسئولية الملقاة على عـاتقهم . وذلـك بـأن

يقوموا بدور دعوى لا يقل خطورة عن دور الأئمة والدعاة . وذلك بإنشاء قنوات متخصصة بكل اللغات الغربية تقوم بـــدور لا أقـــول الدفاع عن الإسلام ونبيه ﷺ لأن النبى لا يحتاج إلى دفاع من أحـــد إذ أنه لم يكن يومًا فى قفص اتهام – وحاشاه – ولكن تكون مهمـــة هذه القنوات إبراز الصورة الحقيقية لرسول الله ﷺ .

وهذه القنوات سوف تصحح كثيرًا من الأغاليط عن الإســـلام ونبيه ﷺ خاصة أمام عامة الشعوب الغربية التى كانت وما زالـــت تأخذ معلوماتها عن الإسلام وأهله ونبيه من وسائل الإعلام الغربية التى تسيطر عليها الجماعات الصهيونية ، والتى نعرف جميعًا مدى عداوتها للإسلام والمسلمين .

تاسعًا : لا ننكر حقيقة هامة وهى أن بعضًا من المسلمين قـــد ساعدوا على تشويه صورة الرسول الأعظم أكثـــر مـــن الغـــربيين أنفسهم بجهلهم تارة وسوء سلوكهم تارة أخرى .

بل إن مما يؤسف له أن عددًا ممن يحسبون على الدعوة قـــد أعطوا الغرب فرصة ما كانوا يحلمون بها . مثل جمـــود الفكـــر ، وعدم الوعى بمقاصد الشريعة ، والانغلاق التام ، والانفصال عـــن الواقع . وقد أحسن الغرب وخاصة الجماعات الصهيونية المنظمـــة استغلال هذه النماذج لمساعدتهم فى مهمتهم فـــى تـــشويه الإســـلام ونبيه .

عاشرًا : على الحكومات الإسلامية فى المحافل الدولية بيان أن حرية التعبير فى الغرب عرجاء شائهة . ذلــك أن كثيــرًا مــن دول الغرب لا يجرؤ أحد أن يمس أى قضية تتصل باليهود وإلا دخل تحت طائلة القوانين لمتعلقة بمعاداة السامية والتى تــؤدى بــصاحبها إلـــى الاعتقال والحبس مهما كانت الحجج والبراهين التى يستند إليها .

فعلى الحكومات الإسلامية أن تصرخ بأننا ســاميون أيــضا ، ويجب أن تحترم مقدساتنا وقضايانا وإلا !!!

حادى عشر : علينا نحن المسلمين أن نرتب البيت الإســلامى من الداخل ، وأن نحاول قدر إمكاننا الاكتفاء الذاتى ، ولا نمد أيدينا إلى الغير . لأن من لا يملك قوته لا يملك قراره . وأظن أنه عــار علينا أن يكون لدينا هذا الرصيد الهائل من البــشر ، والمــوارد ، والأرض ، وفوق ذلك القيم ثم بعد ذلك نذهب فنتسول من الغــرب ونطلب منهم أن يحترموا مقدساتنا !!!

ثانى عشر : لابد من مواقف عملية تؤكد صدق الاعتــذار . ولا يكون الاعتذار مجرد كلمة جوفاء أملتها علــيهم الظــروف العالميـــة . والمقاطعة الاقتصادية ، والوقفات السياسية . بل لابد من خطوات عملية حتى لا يتكرر المشهد ونعود إلى ما كنا عليه وهكذا بل لابد من :

١ – النظر فى مناهج التعليم الغربية التى تقوم بدور التــشويه المتعمد للإسلام والمسلمين ونبيهم .

٢ – إعادة النظر فى القوانين سيئة السمعة التى سنها الغرب ضد المسلمين والتى تحاول الربط بين الإرهاب والإسلام ، والتى تصل لدرجة أسلمة الإرهاب أو أرهبة الإسلام .

٣ – السماح بمساحة واسعة من الإعلام لإظهار وجه الإسلام الحقيقى والتى يقوم علماء الإسلام بشرحها وبيانها .

٤ – عدم تهميش دور المسلمين فى المجتمعات الغربية بل يجب أن يكون لهم دور فى صناعة القرارات يتوازى مع دورهم فى نهضة المجتمع الأوربى .

فالعقول الإسلامية المهاجرة من العلماء والأطباء والمهندسين ورجال الأعمال كان ولا زال لهم دور فاعل فى الحياة الغربية لاينكره إلا مغرض أو جاهل .

٥ – تطبيق المواثيق الدولية التى تنص على عدم المساس بالمقدسات الدينية ، وخاصة المادة السابعة فى ميثاق حقوق الإنسان

٦ – سن القوانين التى تضبط الحرية الفكرية وخاصة فيما يتعلق بالصحافة التى هى أوسع انتشارًا ، ووضع عقوبات رادعة لمن يحاول النيل من قدر المقدسات إسلامية أو مسيحية أو يهودية .

ومن المعلوم أن المسلم فى كل مكان أول من يرفض بشدة أن تهان مقدسات الآخرين خاصة وأننا أولى بموسى وعيسى من الآخرين .

وفى الختام أقول :

عذرًا سيدى فأنا المُهان وليس أنت . وأما أنت يا من صلى الله عليك ، وجذع النخل حنَّ إليك ونبع الماء بين يديك ، وشكى البعير وأنَّ إليك ، باقة ورد أهديها إليك ألف صلاة وسلام عليك .

❋ ❋ ❋

أين المدافع عن جناب محمد ؟ (١)

أعلى الشفيع تجاسروا بسباب ؟ ∴ أعلى الحبيب وأعظم الأحباب ؟

أعلى الذى لولاه ما خلق الورى ∴ أبدا وكانوا خـلاف تـراب ؟

أيكون هذا رغـم أن رجالـه ∴ فى الكون أعداد بغير حساب ؟

أواه من ذاك الزمان وأهلـه ∴ أواه من خلق كمثـل ذئـاب

يا ساكنى الدانمارك كيف جرأتمو ∴ فى سب من هو طيب الألقاب

بمحمد تـستهزئون فـويحكم ∴ بل ويلكم يا معشر الأوشـاب

أعلمتمو من تشتمون أم أنكم ∴ عميان أم أغشيتمو بحجـاب

علم النبوة خاتم الرسل الألى ∴ جاءوا إلى الدنيا بنهج صواب

البدر كيف يعيبه نقع الثـرى ∴ هذا عجاب فوق كل عجـاب

أيعاب أحمد ذو الفضائل والنهى ∴ أيعاب من هو منحة الوهـاب

بل نعمة " وهدية " نحو الورى ∴ كفروا بها وتمـسكوا بتبـاب

قوم من الدانمارك ضاع رشادهم ∴ وتهجموا فى خسة وتغـابى

من لى بقطع لسانهم من أصلـه ∴ كى يعجزوا عن رد أى جـواب

ما هؤلاء سوى وباء مهلـك ∴ يقضى على الأرواح والألباب

لا حق يدعى فى الحياة لمثلهم ∴ فبهم شبيه من سـعار كـلاب

---

(١) قصيدة للشاعر : عبد الله الجعيدى ، نشرت فى جريدة الأزهر .

بل فى الكلاب من الهدى فى قلبه ∴ ويحب طه طـاهر الأنـساب

أنا لا أجادلُ عن صفات المصطفى ∴ كلا ولست بذا الكلام أحـابى

فـصفاته وخـصاله ومقالـه ∴ كـل يؤكـد أعظـم الآداب

والله يشهد والملائـك كلهـم ∴ أن النبى مبـرأ مـن عـاب

بل من يعيب محمدا فى لفظة ∴ سيكون بئس الظالم الكـذاب

ولتسألوا التاريخ كم من معجب ∴ بمحمد فى غايـة الإعجـاب

كم أسلمت أمم لـشدة حـبهم ∴ لكمالـه المتـألق الجـذاب

من ذا يدافع عن جناب محمد ∴ من ذا يدافع عن أعز جنـاب

يا أمة الإسلام أيـن كرامـة ∴ فينا وقد عاشت مدى الأحقاب

اليوم ديست فى التراب وضيعت ∴ واليوم قد غابت أشد غيـاب

ما إن يدافع مسلم عن حقـه ∴ حتـى يقـال بأنـه إرهـابى

سنظل فى أقصى الهوان ، لأننا ∴ صرنا نعيش كمثل عيش دواب

ولقد رحلنا فى المعاصى رحلة ∴ طالت بغير تراجـع وإيـاب

يا مسلمون متى نعود لـديننا ∴ ومتى نعود بـديننا لـشباب

للدين جلباب إذا لم نحمـه ∴ لم نستحق الـستر بالجلبـاب

لا تحسبوا ما تشهدون نهايـة ∴ بل ذاك غيم لاح بـين سـحاب

ما للمقصر فى أوامر ربــه ∴ إلا عـــذاب لاحـــق بعـــذاب

فبكل يوم سوف يصبح شأننا ∴ من بين كل الخلق غير مهـــاب

عار عليكم فى السكوت ووصمة ∴ كبرى بلا ماح ودون ذهـــاب

إن السكوت على الإهانة سابقا ∴ جعل الهوان مفتح الأبـــواب

عذرًا رسول الله إنـــا كلنـــا ∴ ضعفاء لم نصلح ليوم ضراب

نحيا كقطعان تفـــرق شـــمله ∴ وعدا عليها كل أسد الغـــاب

ولأخذ ثأرك لا نطيـــق لأننـــا ∴ من غير ما قدر لدى الأغراب

فاغفر لنا الخزى الذى صغنا به ∴ أضحوكة نسبت إلى الأعراب

ولينتقم ممن أهانـــك ســـيدى ∴ رب العباد وحـــاكم الأربـــاب

❋ ❋ ❋

فهرس الموضوعات





***